الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

فرع التاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب الإسلامي

الموسومة بـ:

# العالم الإسلامي وموقفه من سقوط غرناطة

# 897 ه – 1492م


إعداد الطالبتين:

* حرير عائشة.

* بن حيبة فاطمة.

إشراف الدكتور:

* بوخلـوة حسين.


أعضاء لجنة المناقشة

د. شرف عبد الحق.....رئيسا

د. بوخلوة حسين.....مشرفا

د. زلماط إلياس.....مناقشا

السنة الجامعية: 1439– 1440ه/2018 – 2019م.

بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر وتقدير

*بعد إتمام هذا البحث نشكر الله العلي القدير القوي المتين*

*على توفيقه لنا لجلال وجهه وعظيم سلطانه.*

*مصداقا لقوله تعالى: **{وَاشْكُرُوا لِي وَ لاَ تَكْفُرُونِ}***

*(الآية 152 من سورة البقرة)*

*نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف والدكتور"بوخلوة حسين"*

*كما نوجه شكرنا إلى السادة أعضاء اللجنة المناقشة.*

*والشكر الموصول لكل من ساعدنا في انجاز هذا العمل المتواضع، اخص*

*بالذكر الأستاذ الدكتور "بصديق عبد الكريم" فلهم منا*

*جزيل الشكر والتقدير.*

# إهداء

*إلى ينبوع الحنان وفيض الأمان*

*والتي هي أقرب مني لا أنسى فضلها طول الزمان والتي مهما قلت لن أوفيها حقها*

*إلى أمي الغالية أطال الله في عمرها*

*والى وادي الذي لم يبخل على بشيء، ووقف معي مدعما خطواتي أعانه الله وحفظه.*

*والى كل أفراد عائلتي من كبيرهم إلى صغيرهم*

*راشد، سعاد، فتيحة، كريمة*

*وخاصة الكتكوت الصغير حمودة.*

*والى كل من عائلة بن هيبة، مازوز، بن ناصر في باتنة، حرير، قوجيل، بن جلول وعل رأسهم نعيمة.*

*وإلى كل طلبة تاريخ الغرب الإسلامي، والأساتذة الأفاضل، واشكر كذلك زميلتي في المذكرة حرير عائشة.*

*وإلى كل من سقط سهوا من قلمي، وارجوا التوفيق والسداد في الطريق.*

***بن هيبة فاطمة.***

# إهداء

*إلى من تتسابق الكلمات لتخرج معبرة عن مكنون ذاتها، الذي زرع في نفسي الطموح والمثابرة.....والدي العزيز حفظه الله لي.*

*إلى نبع الحنان التي سهرت على رعايتي.....أمي الغالية أطال الله في عمرها.*

*إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي وشبابي.....إخوتي وأخواتي.*

*إلى أمحمد وزوجته، حسين وزوجته، محمد، عمر، أبوبكر، إبراهيم، خالد.*

*وإلى فاطمة وزوجها، عودة وزوجها، فاطيمة.*

*إلى كل الكتاكيت الصغار..... يونس، ياسين، فريال، خير الدين،*

*رضوان، دعاء، عبد المالك، حياة، مروة، إياد.*

*إلى كل من شجعني وزادني ثقة بنفسي أصدقائي وأحبائي..... من بعيد كانوا أم من قريب.*

*إلى من ضحوا بحريتهم من اجل غيرهم.....شهدائنا الأبرار،*

*إلى من هم أكرموا منا مكانة نصرهم الله.....شهداء فلسطين.*

*إلى كل عائلة حرير، قوجيل، بن هيبة، بن جلول، أخص بالذكر.....رفيقة دربي فاطمة والأستاذة نعيمة التي كان لي سند في مشواري، و فاطيمة بنت الخال التي اعتبرها اختي، كانت مصدر عون في انجاز المذكرة.*

*إلى كل محبي العلم والمعرفة*

*إلى كل أساتذة وطلبة معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، خاصة طلبة تاريخ المغرب الإسلامي ماستر02، دفعة 2019.*

*اهدي هذا العمل المتواضع.*

***حرير عائشة***

# جدول المختصرات

| الكلمة | المختصر |
|---|---|
| تحقيق | تح |
| تقديم | تق |
| مراجعة | مر |
| دون مكان | د . م |
| دون طبعة | د . ط |
| طبعة | ط |
| الجزء | ج |
| مجلد | مج |
| عدد | ع |
| صفحة | ص |
| هجري | ه |
| ميلادي | م |
| صفحات متتالية | ص ص |
| صفحات متباعدة | ص – ص |

# مقدمـــــة

مكث الحكم الإسلامي في الأندلس عامة حوالي ثمانية قرون من الزمن، ومرت الأندلس خلاله بعدة مراحل، من بينها قرنين ونصف خاصة في غرناطة، التي تعد من بين المدن الإسلامية التي قامت في أوائل القرن السابع هجري، فهي تعتبر آخر معقل من معاقل الإسلام في الأندلس، إذ انحصرت في إقليم غرناطة بعد سقوط الدويلات المجاورة لها، إلاّ أنها ظلت صامدة لمدة معتبرة من الزمن، تعددت تسميات مملكة غرناطة فمن ذلك غرناطة، أغرناطة، غراناطة، والحمراء التي تمتعت بكثير من عناصر القوة رغم صغر حجمها، فهي أقوى دويلة أندلسية قاومت من أجل الدفاع عن الإسلام وإبقاءه صامدا في وجه العدو الصليبي، والذي كان له حقد ديني ، وظل الصليبيون يهددون كيان غرناطة، ونجحت القوات النصرانية بدخولها مختلف حواضر مدن الأندلس، الذي كان يشكل تهديدا على اشبيلية ،قرطبة ، وهنا تم نشر دينهم وطرد المسلمين من هذه المناطق، فكان ملجأهم الوحيد وأملهم غرناطة.

وبعد مدة لم تسلم غرناطة من جشع الهجوم النصراني، فقاموا بالقضاء على جميع الإمدادات التي تدعّم غرناطة الإسلامية، وحصارها بمختلف الطرق والوسائل لإضعافها، وبعد صمود طويل وحصار دام سبعة أشهر طويت آخر صفحة من صفحات غرناطة 897 ه / 1492م، بتوقيع ملكها أبي عبد الله الصغير معاهدة الاستسلام، التي كانت تضم عدة شروط وبنود من أجل الحفظ على مكانة الإسلام والمسلمين في غرناطة.

لقد ظلت بعض بنود المعاهدة المتعلقة بالمسلمين مجرد حبر على ورق، وبدخول القوة الكاثوليكية ستقضي عليها في فترة وجيزة، وتم نقض المعاهدة مما تولد عنه معاناة المسلمين الغرناطيين من انتهاك حقوقهم وحرماتهم، وتنصيرهم إجباريا، وهو ما جعلهم يعملون على مقاومة النصارى مما دفعهم إلى القيام بعدّة ثورات في غرناطة، إلاّ أنها آلت إلى الفشل وكانت بلا جدوى، وهذا ما دفع بغرناطة إلى الاستنجاد بدول العالم الإسلامي من أجل مد يد العون لها، وإنقاذها من أنياب العدو النصراني.

وقد قام الغرناطيون بعدة ثورات إلاّ أنها أخمدت من طرف الملكين الكاثوليكيين إيزابيلا و فرناندو، رغم أن هذه الدويلة استطاعت أن تحافظ على الوجود الإسلامي بغرناطة لمدة طويلة، فقد كانت عرضة لخطر الزوال في كل لحظة، نظرا لما كانت تمر به من اضطرابات وضغوطات من طرف المماليك الأسبانية، خاصة بعد توحيد كل من مملكة قشتالة وأراغون التي كانت سببا من أسباب سقوطها.

وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع المتمثل في "سقوط غرناطة وموقف العالم الإسلامي منه"، الذي يعد محطة تاريخية مهمة في تاريخ الأندلس عامة وغرناطة خاصة، إضافة إلى ذلك أنها مملكة

إسلامية قاومت شتى الوسائل من اجل الحفاظ على كيانها وإسلامها، زيادة على ذلك ميولنا الشخصي والرغبة في دراسة هذا الموضوع ومساهمتنا في كتابة تاريخ الأندلس في العصر الوسيط، ضف إلى ذلك دعم المكتبة بالمراجع التي تدعم الطالب ولو بمادة معرفية قليلة.

وتكمن أهمية الموضوع من الناحية التاريخية كونه يدرس الواقع الذي كان يعيشه العالم الإسلامي، الذي يسلط الضوء على سقوط غرناطة سنة 879ه - 1492م، من هذه الفترة من عوامل القوة والضعف اتجاه القضية الغرناطية، بحيث يمثل هذا الأخير جزء أساسي يربطه بالجانب السياسي، كما يدرس الأجواء الرهيبة التي رافقت سقوط غرناطة وانهيارها، إضافة إلى ذلك العلاقات التي كانت تربط الأندلس بباقي العالم الإسلامي، واهتمامات المسلمين بالقضية الغرناطية، مما يعكس مدى وجودها في فكرهم واهتماماتهم، وحتى نقرب الصورة أكثر يمكن مقارنتها بالقضية الفلسطينية.

وعلى ضوء هذه المعطيات نطرح الإشكالية التالية:

- كيف كان رد فعل دول العالم الإسلامي من سقوط غرناطة ؟ وما مدى مساهمتها في نجدة غرناطة؟

.

ومن هنا تبرز لنا عدّة تساؤلات تتمثل فيما يلي:

- كيف كانت أوضاع غرناطة في عهد بني الأحمر؟.
- ما هي أسباب سقوط غرناطة ؟ .
- فيما تتمثل جهود الغرناطيين في الدفاع عن وطنهم؟.
- كيف كانت مواقف دول المغرب والمشرق الإسلامي من القضية الغرناطية ؟.

وقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج الوصفي التحليلي الذي تعتمد عليه أغلب الدراسات التاريخية، متتبعين أهم الأحداث ودعمنا ذلك بالمنهج الوصفي، ويتجلى هذا في وصف غرناطة من حيث الموقع والنشأة، وكذلك الأوضاع التي كانت تعيشها آنذاك، ومدى مساهمة الدول العربية الإسلامية في إعانتها ، واختلفت المساعدة باختلاف كل دولة حسب الظروف التي كانت تعيشها .

ولتنظيم بحثنا سرنا على خطة البحث التالية:

- **مقدمة** وفيها تمهيد وتعريف للموضوع، إضافة إلى مدخل الذي احتوى على ثلاثة عناصر، فكان عنوانه الرئيسي غرناطة في عهد بني الأحمر 635 ه - 897 ه/ 1238م - 1492م، والذي

تفرع إلى ثلاثة عناصر الأول بعنوان: أصل التسمية والموقع، والثاني: تأسيس مملكة غرناطة في عهد بني الأحمر 635 ه / 1238م، وثالثا: أوضاع غرناطة في عهد بني الأحمر.

- **أما الفصل الأول** تمحور حول أسباب سقوط غرناطة، ينقسم إلى مبحثين، كان المبحث الأول بعنوان أسباب سقوط غرناطة غير المباشرة، والذي تضمن ثلاثة عناصر منها، الأسباب السياسية، الأسباب الاقتصادية، الأسباب الاجتماعية. والمبحث الثاني يتحدث عن الأسباب المباشرة لسقوط غرناطة، يحتوي هو الآخر أربعة عناصر منها: **أولا**- اتحاد مماليك النصارى (قشتالة وأراغون)، **ثانيا**- سقوط غرناطة ومعاهدة الاستسلام، **ثالثا**- اضطهاد النصارى لمسلمي غرناطة وبروز الثورات.
- **أما الفصل الثاني** موقف دول المغرب الإسلامي من سقوط غرناطة والذي تطرقنا فيه إلى ثلاثة مباحث، كان المبحث الأول يتكلم عن موقف الزيانيين، والمبحث الثاني فيه موقف المرينيين، والمبحث الثالث موقف الحفصيين.
- **أما الفصل الثالث** عالجنا فيه موقف دول المشرق الإسلامي من سقوط غرناطة، احتوى على مبحثين، المبحث الأول تطرقنا فيه إلى موقف الدولة العثمانية أما بخصوص المبحث الثاني والأخير تضمن موقف المماليك بمصر، ثم خاتمة وملاحق التي تخدم البحث، وتليها قائمة المصادر والمراجع والفهرس.

وبطبيعة الحال لا يستطيع أي باحث أكاديمي أن يقوم بانجاز بحث دون الارتكاز والرجوع إلى المادة العلمية، والتي تتمثل في مجموعة من البيبليوغرافيا لمعالجة الموضوع والإحاطة بجميع جوانبه، وأهم القضايا المطروحة في البحث سواء عامة كانت أم خاصة، فمن أهم المصادر نذكر:

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لمؤلفه أحمد بن محمد المقري التلمساني، مؤرخ جزائري من مدينة مقرة، من أعمال قسنطينة "ت 1041ه / 1631م"، أفادنا في أصل تسميات غرناطة وتسميات أخرى، إلا أنه لم يذكر لنا تفاصيل أخرى عن سقوط غرناطة.

- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الوادي، لمؤلفه يحي بن خلدون الذي يعتبر من أهم المصادر التاريخية في البحث العلمي، والذي أفادنا في معرفة تاريخ الدولة الزيانية، لكنه لم يتطرق إلى موقفها من سقوط غرناطة واستنجادها بدول العالم الإسلامي بالتفصيل.

– مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (ت 346 ه / 957م)،قدم لنا هو الآخر مادة علمية غنية وغزيرة في تعريف لمصطلحات وشخصيات.

– معجم البلدان لمؤلفه ياقوت الحموي، الذي أمدنا هو الآخر بتعريف لبعض المدن الأندلسية، إلا أنه لم يذكر كل المدن.

ومنه استندنا على كثير من المراجع من بينها:

– الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج4، لمؤلفه أبو العباس أحمد السلاوي النصري، ولد بالمغرب الأقصى في مدينة سلا وتوفي بها ولهذا عرف بالسلاوي 1835م – 1897م، حيث تحدث فيه عن سقوط غرناطة من الجانب السياسي، وحدد لنا فترة حصار هذه المملكة.

– معالم تاريخ المغرب والأندلس لحسين مؤنس ساعدنا في معرفة جانب من جوانب سقوط غرناطة، غير أنه لم يذكر لنا بقية الجوانب .

– الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، لمؤلفه أحمد محمد عطيات الذي أفادنا في معرفة مواقف دول المغرب والمشرق من سقوط غرناطة، لكنه لم يفصل في ذلك بل حدثنا عنها في فقرات وجيزة.

– سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين، لجمال يحياوي، تحدث عن سقوط غرناطة ومعاناة الأندلسيين عامة وغرناطة خاصة، عرّفنا بالأسباب الاجتماعية وغيرها التي ألمت بسقوطها باعتباره آخر معقل من معاقل الأندلس، رغم أنه متخصص في موضوع سقوط مملكة إسلامية عظيمة، كان لها صيت كبير في البقاء لفترة طويلة من الزمن لانتشار الإسلام فيها، فهو لم يذكر لنا بعض المواقف من سقوطها سواء أكانت مغربية أو مشرقية.

وكأي بحث من البحوث الأكاديمية فهو لا يخلو من الصعوبات التي تواجه الباحث منها: تكرار المادة العلمية في أغلب المراجع، مما استصعب علينا وضع خطة مناسبة لمعالجة الموضوع، ضف إلى ذلك قلة المادة العلمية التي تتحدث عن مواقف دول العالم الإسلامي من سقوط غرناطة .

# مدخل

## غرناطة في عهد بني الأحمر 635 – 897 ه / 1238 – 1492م.

**أولا –** الموقع وأصل تسمية.

**ثانيا –** تأسيس مملكة غرناطة في عهد بني الأحمر 635 ه – 1238م.

**ثالثا –** أوضاع غرناطة في عهد بني الأحمر.

## أولا: الموقع والتسمية.

### أ – الموقع الجغرافي لغرناطة:

غرناطة مدينة صغيرة من أعمال ولاية ألبيرة[1] فتحها العرب سنة 92ه /712م ، وقد أقطعها أبو الخطار والي الأندلس في عهد هشام بن عبد الملك [2] إلى جند الشام الذي استقر فيها[3] ، وتقع غرناطة في الجزء الجنوبي الشرقي من الأندلس منحدرة وراء نهر الوادي الكبير حتى ساحل البحر المتوسط، وحدودها الجنوبية تبدأ من جزيرة طريف غربا حتى المرية[4] شرقا، ويحدها من الشرق مدينة "لورقة" هي ولاية مرسية، ويحدها من الشمال مدينة جيان ومن الشامل الشرقي "لورقة" والشمال الغربي قرطبة[5] ، ويحدها من الغرب مدينة اشبيلية ومرور، وأرض الفرنتيرا وولاية قادش.

إن الموقع المتميز لمدينة غرناطة منحها مزايا كثيرة، وكانت هذه المملكة تضم مدن وقرى كثيرة لعل أهمها (المرية، مالقة، واد آش، بسطة، المنكب، شلبونية، لوشة، برشانية، برجا، ندرش، بلش ورندا)، وكانت غرناطة تبعد عن قرطبة بخمسة أيام. وغرناطة المدينة التي كانت تضم في قسمها الشرقي منتزه السبيكة وقصر الحمراء[6] وعدة أراضي يسكنها وجهاء القوم، تضم في قسمها الغربي قصبة وربض البيازين وهو أكبر أحياء غرناطة وأوفرها عمرانا، كان يشمل أكثر الأسواق التجارية وفيها يقوم الجامع

---

[1] – ألبيرة: يقال أن اسمها أيضا لبيرة وبليرة وهي مدينة رومانية، قديما كانت تسمى أيام الرومان ILIBORIS وكانت آنذاك عاصمة كورة ألبيرة، ينظر: مريم قاسم طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيدي البربر، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1994م ، ص: 54.

[2] – هشام بن عبد الملك: هو هشام بن عبد الله بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي، وهو عاشر الخلفاء الأمويين ، وسابع الخلفاء المروانيين، ورابع أبناء عبد الملك، ولد بالمدينة سنة 72ه ، في العام الذي قتل فيه والده مصعب ابن الزبير، تربى في بيت الحكم والسلطان ، فنشأ رجلا عاقلا حليما عفيفا مدبرا سائسا حتّى عد من كبار الساسة، كان يتطلع إلى تولي الخلافة، يعد من أبرز المعارضين لإسناد الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز، فقد أسندت إليه ولاية العهد سنة 102ه حوالي ثلاث سنوات، كان يقيم بعيدا عن دمشق مركز الدولة الأموية، ينظر: علي عبد الرحمن النّجدي، هشام بن عبد الملك والدولة الأموية، ط2 ، موقع للنشر www.moswarat. com، سنة 1412ه/ 1995م، ص: 23.

[3] – سعدون نصر الدين، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1998م، ص: 347.

[4] – المرية: كانت المرية ثالث دويلة من دويلات الطوائف في الأندلس تسقط بيد المرابطين، كان حاكمها المعتصم بن صمادح مريضا فتوفي أثناء حصارها في 22 ربيع الأول 484ه/ 15 أيار1091م، واستسلمت المدينة في حين فر ابنه معز الدولة بماله وعياله: بجاية (افريقية) لدى المنصور بن الناصر بن حماد، حصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (92ه – 897ه/ 710 – 1492ه)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت– لبنان، 2002م/ 1423ه ، ص ص: 247 – 248.

[5] – قرطبة: يضم أوله وسكون ثانيه، وضم الطاء أيضا ومعناها العدو الشديد، وهي مدينة عظيمة بالأندلس حصينة بسور من حجارة ولها بابان مشرعان في نفس السور إلى طريق الوادي، وتسمى مدينة الأندلس العظيمة، ينظر: رامز إسماعيل طه الحلبي، عوامل سقوط الأندلس (92ه- 711م/ 897ه- 1492م)، رسالة ماجيستير في التاريخ والآثار، فلسطين ، جامعة غزة، ، 1436 ه – 2015م، ص: 6 .

[6] – قصر الحمراء: أقيم على منحدر جبل شيلر الذي يشرف على مدينة غرناطة وعلى المروج الواسعة الخصيبة، والذي يعد من أجمل الامكنة العالم، واشتهر أهم أقسام الحمراء بفضل الفوتوغرافية والرسم، فذاع صيت قاعة الأسود وغرفة الأختين ، فقال جيرول دوبرانجة:" يعجز الإنسان عن بيان ما يشعر به حين يمر من قاعة البركة ويدخل قاعة الأسود فيرى فيها الأروقة التي تزينها الأقواس المنوعة المزخرفة بالنقوش المزهرة...". وكتب على باب قصره " إن كان في الأرض فردوس فهو هذا !". تغنى به الشعراء لاسيما صاحب المشرقيات (فكتور هوغو) الذي أنشده قائلا "أيتها الحمراء ! أيها القصر الذي زينتك الملائكة كما شاء الخيال، وجعلتك آية الانسجام ! أيتها القلعة ذات الشرف المزخرفة بنقوش كالزهور والأغصان..." ينظر: غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، ط3 ، دار العالم العربي، القاهرة، ماي 2014/ رجب 1435ه، ص – ص: 293- 295.

الأعظم، وكانت لغرناطة ثلاثة عشر بابا منها باب ألبيرة وهو أضخمها وباب الرملة وباب الفخارين وكانت مساجدها لا تحصى[1] .

كما يذكر عبد الواحد ذنون طه في كتابه "تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس" أن غرناطة "...كانت تمتد من بسطة شرقا حتى استجة ورندة غربا، ومن بياسة وجيان شمالا حتى البحر جنوبا" في عهد حكم باديس بن حبوس (في عهد بنو مناد)[2] .

[1] – رياض أحمد عبيد العاني، أحوال العامة في مملكة غرناطة 635ه– 897ه/ 1237م– 1492م، مجلة الجامعة للتركيب للعلوم الإنسانية كلية التربية، ع 9 ، أكتوبر 2010م، ص ص: 344– 345.

[2] – خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت – لبنان، 2004م ، ص ص: 234– 235.

**ب – أصل تسمية غرناطة:**

اختلفت المصادر في تحديد تسمية غرناطة وأحسن ما قيل في المصادر العربية وما قاله الجغرافيون العرب أن غرناطة: أغرناطة بفتح أوله وسكون ثانيه بمعنى الرمانة بلغة الأندلسيون ولذلك يشار إليها في المصادر العربية المبكرة بحصن الرّمان وسميت لحسنها، ويرى زيبولد مثل هذا الرأي حيث يقول أن اسم غرناطة يرجع إلى عهد الرومان وأنه مشتق من كلمة رومانية Garnata ومعناها الرّمانة[1].

ولما قصد ابن بطوطة[2] بلاد الأندلس حسب ما ذكره أحمد المقري التلمساني في كتابه قال: "فوصلت إلى بلاد الأندلس – حرسها الله تعالى–، حيث الأجر موفور للساكن والثواب مذخور للمقيم"، فقال عند ذكره غرناطة ما نصه الله قاعدة بلاد الأندلس، وعروس مدنها وخارجها، لا نظير له في الدنيا، وهو مسيرة أربعين ميلا، يخترقه نهر شينل المشهور وسواه من الأنهار الكثيرة، ومن مواضعها عين الدمع[3].

وغرناطة من أحسن بلاد الأندلس وتسمى بدمشق الأندلس، ويشقها نهر حدرة، ويطل عليها الجبل المسمى بالشيلر الذي لا يزول الثلج عنه شتاءا وصيفا، ويجمد عليه حتى يصير كالحجر الصلد وفي أعلاه الأزاهر الكثيرة والأجناس الأفاوية الرضعية ونزل بها أهل دمشق لما جاؤوا إلى الأندلس وقد رثاها الشيخ أبي بكر بن محمد بن شيرين السبتي نزيل غرناطة حيث يقول:

**رَعَى اللهُ مِنْ غَرْناطَـــــةَ مُتَبَـــوءًا يَسُرُّ حَزِينـــا أَوْ يُجـــــــــيرُ طَرِيدًا.**

**تَبَّـــرَمَ مِنْهـــا صَاحِبِـــي عِنْدَمَـــا رَأَى مَسَارِحـــهَا بالثَّلْـــجِ عدْنٌ جَلِيـــــدًا.**

**هِي الثَّغْرُ صَانَ اللهُ مَـــــنْ أُهِلَتْ بـــه وَمَا خَيْرُ ثَغْـــرٍ لاَ يَكـــــونُ برُودًا؟ !** [4].

---

[1] – رياض أحمد عبيد العاني، المرجع السابق، ص: 343.

[2] – ابن بطوطة: هو أبو عبد الله محمد الطنجي اللواتي (نسبة إلى قبيلة لواتة البربرية) ويلقب بشمس الدين ويعرف بابن بطوطة، ولد بطنجة سنة 704ه / 1304م ، لما بلغ 22 من عمره قام برحلاته الواسعة التي شملت معظم أرجاء العالم، وهي تنحصر في ثلاث رحلات: الأولى غادر من طنجة سنة 1325م ، وطاف بأنحاء المغرب الأقصى ثم اتجه نحو الشرق عبر الجزائر وتونس وليبيا ثم مصر، ورحلته الثانية كانت نحو الأندلس سنة 1350م ، وفيها وصف مدينة غرناطة كوصف الزوايا والروابط الصوفية وغيرها وعاد إلى فاس سنة 1351م ، ورحلته الأخيرة كانت نحو السودان الغربي سنة 1353م، وقد استغرقت ثلاث سنوات. وتوفي سنة 779ه / 1378م ، وقبره يزار في طنجة وقيل أنه قبر أمه. ترك عدة كتب منها: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ينظر: أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ص ص – ص: 349 – 351/350-353.

[3] – عين الدمع: وهو جبل فيه الرياضات والبساتين، لا مثل له بسواها. ينظر: أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، مج1 ، دار صادر، بيروت 1488ه – 1968م، ص: 175.

[4] – نفسه، ص ص: 177– 178.

وقد نقل محقق كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" رأي المستشرق الأسباني "سيمونث" يقول فيه: إن الاسم يرجع إلى عهد القوط[1] وأنه مزج من كلمتين "ناطه" و " غار" الأولى اسم لقرية قديمة كانت تقع على مقربة من ألبيرة، والثانية هي التي أضافها المسلمون فصارت غرناطة أو أن البربر[2] هم الذين أطلقوا عليها هذه التسمية عند نزولهم بها وهو اسم لإحدى قبائلهم[3].

إلا أن هذا الرأي ضعيف لأن اسم غرناطة كان موجود قبل الفتح الإسلامي للأندلس بحيث كانت ألبيرة هي المدينة الرئيسية قبل غرناطة ثم أصبحت غرناطة منذ القرن 5ه قاعدة الولاية، ثم غدت عاصمة المملكة التي سميت باسمها، وقيل أنها تشبه الرّمانة المشقوقة لموقعها وانقسامها على التلين، فتبدوا منازلها كثيفة وسط هذا المشهد كالرّمانة المشقوقة[4] .

ويذكر أحمد المقري التلمساني في كتابه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" في قول الشقندي: " غرناطة دمشق بلاد الأندلس ومسرح الأبصار ومطمح الأنفس، و لم تخل من إشراف أماثل، وعلماء أكابر، وشعراء أفاضل، ولو لم يكن بها إلا ما خصّها الله تعالى به من كونها قد نبغ فيها النساء الشواعر كترهون القليعة و الركونية وغيرهما، وناهيك بهما في الصرف والأدب[5] .

فبعضهم يتشوق إلى غرناطة فيما ذكر بعض المؤرخين، والصواب أن الأبيات قيلت في قرطبة:

**أغَرْنَاطَةُ الغَرَاءُ هـــــــــــلْ لِي أَوْبَةٍ إِلَيْكِ ؟ وَهَلْ يَدْنُو لَنَــا ذَلِكَ العَهــدُ؟.**

**سَقَى الجَانِبِ الغَرْبِي مِنْـــــــكَ غَنَائِــمٌ وَقَعْقَعَ فِي سَاحَاتِ رَوضُكِ الرَعْـــــدُ.**

**لَيَالِيــكَ أَسْحــارٌ وَأَرْضـــــُكَ جَنـــــَّةٌ وَتُرْبَكِ فــي اسْتِنْشَاقِهــا عَنــبَر وَرْدُ[6] .**

---

[1] – القوط: هي إحدى الجماعات الجرمانية، جاؤوا من اسكندنافيا وانقسموا إلى قسمين، استقر القوط الشرقيون في سهول روسيا ، بينما الغربيون في أقاليم الدول الرومانية والبلقان ، ينظر: الشيخ محمد مرسي، المماليك الجرمانية في أوروبا العصور الوسطى، دار الكتب الجامعية، 1975م، ص ص: 19 – 20.

[2] – البربر: اختلفت المصادر حول هذه التسمية فيذكر أنه لما تفرق أولاد نوح اقبل البرابر نحو المغرب الأقصى فقطنوه وتناسلوا واتصلوا مع القبط من أرض مصر إلى المغرب الأقصى، وجاوروا السودان مما يلي الصحراء والروم ومما يلي السواحل، وفي رواية أخرى أن البربر كان مسكنهم فلسطين من أرض الشام مع الكنعانيين، وكانوا ملوكا و كل من يملكهم يسمى جالوت فقتله داوود عليه السلام. وذكر آخرون منهم الطبري أن البربر كانوا من كنعان ومن العماليق، فلما قتل داوود جالوت تفرقوا في البلاد، وغزى أفريقش المغرب، وإنما سموا بربرا لأن أفريقش الملك الحميري قال لهم :"ما أكثر بربرتكم "، ينظر: مؤلف مجهول ، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق، 2005م، ص ص: 195 - 196.

[3] – رياض أحمد عبيد العاني، المرجع السابق، ص: 343.

[4] – نفسه، ص: 344.

[5] – أحمد المقري التلمساني، مج1 ، المصدر السابق، ص: 176.

[6] – نفسه، ص: 176.

**ثانيا: تأسيس مملكة غرناطة في عهد بني الأحمر(635ه / 1238م):**

ظلت مملكة غرناطة قائمة إلى أن تولى أمرها علي بن سعد بن محمد بن الأحمر الملقب بالغالب بالله وهو المعروف في التاريخ الأسباني بالملك الصغير، تأسست هذه المملكة على يد محمد بن يوسف بن نصر الخزرجي[1] ، وبعد استقراره في غرناطة سار إلى المرية وانتزعها من حاكمها ابن الرميمي، وبذلك امتد حكمه إلى الشواطئ الجنوبية فكان يساعد ابن الأحمر في تحقيق مشاريع أصهاره بني أشقيلولة المولدين[2] . وقد توطدت العلاقة بين الأسرتين بالمصاهرة بين أبا الحسن زعيم أشقيلولة وأخ محمد بن يوسف، وبعد وفاة هذا الأخير أبا الحسن حكم واد آش، وأبا محمد عبد الله لمالقة، خلفه ابنه أبو إسحاق ابن أبا الحسن وقوىّ نفوذ بني أشقيلولة لرغبتهم في التوسع واكتسابهم أكبر عدد من المدن مما جعل ابن الأحمر يخشاهم في آخر أيامه[3] .

وقد أحس محمد بن يوسف بن نصر لحاجته إلى معقل يعتصم به لأن جيان مدينة مكشوفة، فوقع اختياره على غرناطة كونها تقع في أعلى الجبل فقام ببناء حصن عمّره وسكنه، بحيث ازدهرت مملكة غرناطة في أيامه ازدهارا عظيما نظرا لما امتازت به من عقل وحكمة وحسن التدبير، وما لقيه من تأييد الزعماء المسلمين وخاصة بني أشقيلولة الذين انفردوا بالسلطان في واد آش وبعض النواحي الشمالية من بلاد مملكة غرناطة[4].

أما بقية بلاد المملكة مثل (شريش، أركش، شذونة، نريشا، لبلة، الجزيرة الخضراء، جبل طارق)، فقد كانت كلها من طاعة هذا الأخير الذي استطاع بحكمته تعمير هذه المملكة الصغيرة التي قامت 1238م، وظلت صامدة حوالي قرنين ونصف من الزمن. فقد وصفها ابن الخطيب بقوله: "آية من آيات الله من السذاجة والسلام والجمهورية" أي حب الناس لها.[5]

---

[1] – محمد بن يوسف بن نصر الخزرجي: يرجع نسبه إلى سعيد بن عباد الأنصاري الصحابي الكبير، ولد في أرجونة سنة 595ه – 1198م. وقام بضم جيان وبسطة وواد آش والحصون القريبة، رغم معارضة ابن هود له ثم انتقل إلى القواعد الأندلسية الجنوبية كما دعي حلفاء المسلمين منهم أبي زكريا الحفصي والخليفة العباسي المستنصر، ينظر: سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ط1 ، دار النهضة العربية، بيروت، 1998م، ص: 353.

[2] – المولدين: هم العنصر المنحدر عن الأسبان الذين خضعوا عن رضا الفاتحين منهم من اعتنق الإسلام، وألزموا مساكنهم القديمة ومنهم من سبي عن الفتح ومنهم من أسلم أو سبي بعد الفتح، وهذا الصنف على أجناس منهم: الروم، السلاجقة، القشتاليون و الأرغوانيون، وأطلق عليهم المؤرخون العرب لفظ مسلماني وجمعها مسالمة، ينظر: علي حسين الشطشاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، دار قباء، القاهرة، 2002، ص: 77.

[3] – سعدون نصر الله، المرجع السابق، ص ص: 351 – 352 .

[4] – حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1997م، ص: 144.

[5] – نفسه، ص: 145.

لقد أجمعت المصادر التاريخية على أصالة وعراقة نسب بني الأحمر[1] بني نصر، حيث جاء بنو نصر إلى بلاد الأندلس عقب الفتح الإسلامي لها معززين لراية الإسلام راجين رضا الرحمان، وقد دخلوا في خدمة البلاد وتقلبوا في وظائفها وخاصة قيادة الجند، واستقروا فيما بعد بحصن أرجونة[2] .

ونتيجة الضعف أمر الموحدين في الأندلس وكثرة الفتن الداخلية، ازدادت الأطماع الداخلية والخارجية مما ازداد الخوف من العدو الاسباني، واخذ يجتاح القواعد الأندلسية الواحدة تلو الأخرى، وأمام هذا الضعف ظهر على مسرح الأحداث ابن هود وبنو الأحمر في مطلع القرن السابع الهجري نتيجة معركة العقاب التي كانت مصدر شؤم للدولة الموحدية في سنة 609ه / 1212م، فعمل كل منهما لإنقاذ البلاد لكن الظروف كانت لصالح ابن الأحمر وهذا في تأسيس مملكة عرفت باسم مملكة غرناطة أو مملكة في الأحمر أو مملكة بني نصر[3].

وقد كانت غرناطة تابعة لحكم المرابطين ثم الموحدين الذين كانت نهايتهم بعد معركة العقاب، مما مهد الأمر لثورة محمد ابن يوسف بن هود سنة 617ه / 1217م، وسيطرته على المناطق المحيطة به، في حين بدأ نفوذه يتراجع أمام تقدم ليون[4] ملك قشتالة فسقطت قرطبة في سنة 634ه / 1236م. في حين قتل محمد بن هود في المرية سنة 635ه / 1238م، واندلعت الثورة مجددا في مدينة غرناطة لتنتهي بمقتل وليها عتبة بن يحي المغيلي وإعلان محمد بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي المعروف بابن الأحمر أميرا على غرناطة سنة 635ه – 672ه / 1237م – 1273م[5] .

أما بخصوص عتبة بن يحي المغيلي الذي نصب على مملكة غرناطة فلم يكن على وفاق مع ابن الأحمر وأظهر عداءه له، لكن أهل غرناطة عارضوه لجوره ولسفهه عليهم وثاروا عليه وقتلوه، في حين نادوا ابن الأحمر رئيسا على غرناطة واستجاب لهم هذا الأخير سنة 635ه / 1237م، ونزل في قصر باديس واتخذها مقر لدولته[6].

---

[1] – بني الأحمر: ينحدرون إلى نصر بن قيس من أحفاد سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، أحد كبار صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيد قبيلة خزرج الأنصار بالمدينة المنورة، مما يضفي على بني نصر (بني الأحمر)، ينظر: رياض أحمد عبيد العاني، المرجع السابق، ص: 345.

[2] – حصن أرجونة: هو أحد حصون قرطبة، نفسه، ص: 346.

[3] – رياض أحمد عبيد العاني، المرجع السابق، ص: 346.

[4] – ليون: وهي من المدن الشهيرة، لها مقاطعة يقال لها مقاطعة ليون، لا يزيد سكانها عن خمسة عشر ألفا، وهي من المدن القديمة التي استولى عليها الرومان، وجعلوا فنها مركز قيادة عسكرية، وعظم أمرها في القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر، ثم انضمت إلى قشتالة واصبحت مملكة واحدة فيها كنائس وأديار متعددة، ينظر: مؤلف مجهول، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، تح: شكيب أرسلان، ج2 ، ط1 ، المطبعة الرحمانية، مصر، 1936م ، ص: 51.

[5] – عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91 ه – 897 ه / 710م – 1492م)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، 2002م، ص: 279.

[6] – محمود السيد، تاريخ العرب في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2005م، ص: 74.

في حين يذكر علي المنتصر الكتاني في كتابه "انبعاث الإسلام في الأندلس"، " أن بعد انهيار الدولة الموحدية بالأندلس عمل كل من ابن هود[1] وابن الأحمر على توحيد الأراضي الأندلسية لمقاومة الغزو الصليبي، بحيث قام ابن هود بضم عدد من المدن إليه، وهنا لم يكن ابن هود على المستوى المطلوب فهزم في معارك مع النصارى الواحدة تلو الأخرى، و لم يستطع نجدة قرطبة عاصمة الخلافة، وتركها تسقط في يد النصارى 23 شوال 633ه / 29 فيفري 1236م، فرفع الصليب فورا على مؤذنة المسجد الأعظم، بحيث كانت ضربة قاضية وصادمة له، و لم يعش بعدها طويلا، إذ توفي في ثغر المرية سنة 635ه / 1237م، في ظروف غامضة[2] .

أما بالنسبة لابن الأحمر كان جنديا وافر الشجاعة والعزم، فظهرت حركته في نفس الفترة التي ظهر فيها ابن هود، وكان منافسا له غير أن ابن الأحمر كان سياسيا ماهرا، فأطاعته جيان وواد آش وما حولها فور ظهوره، فاتجه محاولا ضم الثغور والقواعد الأندلسية الجنوبية فنادى قرمونة، قرطبة واشبيلية بطاعته في سنة 629ه / 1232م لمدة قصيرة، ثم انتقلت قرطبة واشبيلية إلى طاعة ابن هود وكذلك شريش ومالقة[3]، والمناطق المجاورة لها سنة 630ه / 1233م[4].

وعند توحد الأندلسيون حول ابن هود انحاز ابن الأحمر إليه سنة 631ه / 1234م، وبعد وفاة ابن هود قام ابن الأحمر بتوحيد الأندلس بمفرده، فانضمت إليه غرناطة في رمضان 635ه / أفريل 1238م، فاتخذها مركز حكمه، كما قام بفتح المرية وطرد منها حاكمها ابن الرميمي[5] . وهكذا نشأت مملكة غرناطة في ظروف غامضة[6]. كما حظي هذا الأخير بشعبية كبيرة من طرف الأندلسيين، إلاّ أن بعض الحكام العرب فضلوا أن يعقدوا تحالفا مع فرديناند الثالث بدلا من تحالفهم مع ابن الأحمر، وما لبث هذا الأخير في حكم المملكة حتى عزّم على جهاد النصارى[7].

---

[1] – ابن هود: هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي من أصل سرقسطي، بدأ حركته من مرسية سنة 625ه / 1228م، ضم إليه قرطبة، اشبيلية، مالقة، المرية وغيرها من البلدان، ينظر: علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2005م ، ص: 34.

[2] – نفسه، ص: 34.

[3] – مالقة: هي كلمة عجمية، وهي مدينة بالأندلس سورها على شاطئ البحر بين جزيرة الخضراء والمرية، فقال الحميدي، هي على ساحل بحر المجاز المعروف بالزقاق، وأصل وضعها قديم، ثم عمرت بعد وكثر قصد المراكب والتجار إليها فتضاعفت عمارتها حتى صارت أرشذونة وغيرها من بلدان هذه الكورة كالبادية لها، أي الرستاق، وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم منهم: عزيز بن محمد اللخمي المالقي وغيرهم، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج 5، دار صادر، بيروت، 1984م ، ص: 43.

[4] – علي المنتصر الكتاني، المرجع السابق، ص: 134.

[5] – ابن الرميمي: هو وزير ابن هود الثائر في المرية، ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مج4، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م، ص: 448.

[6] – علي المنتصر الكتاني،المرجع السابق، ص: 134.

[7] – محمود السيد، المرجع السابق، ص: 45.

وحول قيام دولة غرناطة في عهد بن الأحمر نلاحظ الأمور التالية:

1 – توافد عدد كبير وجموع غفير من أهالي مدن الأندلس التي سقطت على يد الأسبان في غرناطة، الذين عزموا على الدفاع عنها والقتال في سبيلها قتال البائس المتميت قبل ضياعها.

2 – الموقع الجغرافي لمملكة غرناطة في جبال شامخة مثل جبال البشرات Alpujarras وجبال سيرانيفاد Siranivadal أي جبال الثلج أو الجليد، وكان العرب يسمونها بجبل شيلر، وهو تعريب للتسمية اللاتينية Mons Solorius أي جبل الشمس[1] ، ولا شك أن هذه الجبال جعلت من غرناطة قلعة حصينة يسهل الدفاع عنها، مما جعل الأسبان يعقدون الصلح معها، إضافة إلى ساحلها الطويل الذي يمتد من المرية شرقا إلى جبل طارق [2] والجزيرة الخضراء جنوبا جعلها دولة بحرية رغم صغر حجمها وكثرة أساطيلها وغيرها.

3 – دور المهاجرين الأندلسيين إلى غرناطة في استصلاح الأراضي وخدمتها على اعتبار أن أراضيها تقع في مناطق جبلية وعرة، وتمتاز بملوحة شديدة، بحيث قدموا خبرات جديدة مما كان له الأثر الكبير في جعل غرناطة بلدا غنيا بالمحاصيل الزراعية مثل: الخضر، الفواكه المتنوعة إضافة إلى الأعشاب الطبية [3].

4 – اشتمال مملكة غرناطة على عدّة ولايات من بينها مالقة والمرية، وأجزاء من جيان ورندة، باعتبار مملكة غرناطة هي العاصمة وكان مؤسسها الأول كما سبق وذكرنا القائد العربي الغالب بالله الشيخ محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر الذي كان حاكما على بلدة أرجونة في إقليم جيان قبل دخوله إلى غرناطة[4].

5 – تنبؤ سكان مدينة غرناطة بعد كارثة العقاب وانهيار الدولة الموحدية وانتشار الشائعات، أن المنقذ لهذه الدولة اسمه محمد بن يوسف وبروزه بعد مدة في منطقة أرجونة باسم محمد بن يوسف بن الأحمر الذي جمع شمل الأندلس وأحرز عدّة نجاحات [5] .

---

[1] – أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص: 339.

[2] – جبل طارق: فيه خرج طارق بن زياد وفتح الأندلس وهو عند الجزيرة الخضراء، وبجبل طارق مرسى نزل به عبد المؤمن وسماه جبل الفتح، وأقام قصورا عظيمة وهي باقية إلى اليوم، ووفد عليه في هذا الموضع وجود الأندلس، ينظر: أبو عبد الله محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2 ، مكتبة لبنان، 1984 م ، ص: 320 .

[3] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص: 340.

[4] – نفسه، ص: 341.

[5] – نفسه، ص: 342.

وهكذا نشأت وولدت مملكة غرناطة من رحم الفوضى والاضطرابات التي شهدتها الأندلس [1] ، أثناء سقوط دويلاتها الواحدة تلو الأخرى، بحيث كانت بحاجة إلى الاستقرار بعد أن مزقت روح الأندلس وجعلتها فريسة سهلة بيد الأعداء، فكان ابن الأحمر السبيل الوحيد في إرجاع أمل الأندلسيين، فعمل هذا الأخير على إنقاذ الأندلس من الحالة التي آلت إليها، والتي تأسست على يده وسميت بمملكة غرناطة والتي أطلق عليها تسميات عدّة، فتلك هي مملكة غرناطة التي صمدت واستمرت وهذا يعود بالطبع إلى عوامل جغرافية وبشرية كما ذكرنا سابقا.

[1] – الأندلس: المراد بلفظ الأندلس إسبانيا الإسلامية بصفة عامة، أطلق الاسم في بادئ الأمر على شبه جزيرة أيبيريا كلها، لأنها كانت في يد المسلمين. وكلمة أندلس اشتقها العرب من كلمة واندلوس، وهي اسم قبائل الو ندال الجرمانية التي اجتاحت أوروبا في القرن الخامس ميلادي، واستقرت في السهل الجنوبي الاسباني، ثم جاء العرب وعرّبوا هذا الاسم إلى أندلس، بعد سقوط مملكة غرناطة وانتهاء الحكم الإسلامي في اسبانيا سنة 1492 م، أطلق اسم اندالوثيا Andalucia على الولايات الجنوبية الاسبانية منها: قرطبة، اشبيلية وغرناطة، ويلاحظ أن حكم المسلمين للأندلس دام ثلاثة قرون، ينظر: أحمد مختار العبادي، نفسه، ص: 17.

**ثالثا: أوضاع غرناطة في عهد بني الأحمر:**

**أ – العامل الاجتماعي:**

كان سكان مملكة غرناطة يساوي عدد سكان ما تبقى من الجزيرة الأيبيرية أو ما يقاربه رغم صغر حجمها، باعتبارهم جميعا مسلمين فلم يبق بينهم أقليات نصرانية، وكانت العربية لغتهم الوحيدة، فقد كانت غرناطة هي ملجأ الأندلسيين المدجنين[1]، فحدودها دائما مفتوحة لهم سواء المهاجرين من الشمال والمجاهدين من المغرب، وهنا يصف أبو الطيب صالح بن شريف الرندي في رائيته الشهيرة عند ظهور غرناطة التي يصف فيها أوضاع الأندلس أرضا وشعبا من ظلم وبؤس وهلاك إذ يقول:

**دَهَى الجَزِيرَةُ أَمْـــــرٌ لاَعَــزَاءُ لَــهُ هَوَى لَــهُ أَحَــدٌ وَانْهــدَ ثَهلاَنِ.**

**أَصَابَهَا العَيْنُ فِي الإِسْلاَمِ فارْتَــــزَأَتْ حَتَّى خَلَتْ مِنْــــهُ أَقْطارٌ وَبُلْدَانٌ.**

**يَا مَنْ لذلة قَومٌ مِــنْ بَعْــــدِ عِزّهِــمْ أَحَالّ حَالَهُمْ كُفــرٍ وَطُغْيَــــــانِ.**

**بِالأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِــي مَنَازِلــهِمْ وَاليَومَ هُمْ فِي بِلاَدِ الكُفْرِ عُبــْدَانٌ[2].**

كان يعيش في مملكة غرناطة مجموعة من الديانات، منها اليهودية والنصرانية والذين كان يطلق عليهم أهل الذمة وغيرها، وقد ذكر أحمد مختار العبادي في كتابه "في تاريخ المغرب والأندلس" حسب ما قدمه الوزير الغرناطي ابن الخطيب وصفا جميلا لبني وطنه قال: "إنهم كانوا سنيين على مذهب مالك ابن أنس[3] وكانت أخلاقهم جميلة وصورهم حسنة وأنوفهم معتدلة...وألسنتهم فصيحة عربية تغلب عليها الإمالة وأخلاقهم الأبية وعمائمهم نقل في زيّهم ما شدّ في شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم"[4] . فقد كانت لغرناطة في عهد بني الأحمر الحرية في الدين، بحيث يتكون المجتمع الغرناطي من عناصر سكانية عديدة وهذه حسب الديانات التي تنتمي إليها من مسلمون ونصارى ويهود[5].

---

[1] – المدجنين: من فعل "دجن" أي قطن و لم يغادر المكان، والأسبان يقولون لهم المودخار Modejares ، وهم المسلمون الواقعون تحت حكم النصارى قبل سقوط غرناطة، يدعون "بالمدجنين" وهؤلاء كانوا مقيدين بمعاهدة مع النصارى، موقعة من الجانبين فكانوا يتمتعون ببعض الحرية والسياسية، الدينية والاجتماعية على أساس الاعتراف بسيادة ملك النصارى عليهم، وعند ذهاب دولة الإسلام من الأندلس أبدل هذا الاسم "بالموريسكين"، ينظر: محمد قشتيليو، الموريسكيون في الأندلس وخارجها، ط3، مطبعة الأمنية، الرباط، 2008م ، ص: 23.

[2] – علي المنتصر الكتاني، المرجع السابق، ص: 38.

[3] – الإمام مالك بن أنس: هو ملك بن أبي عامر بن حارث عثمان أبو عبد الله الأصبحي المدني بن ذي أصبح بن حمير بن سبأ بن يعرب بن قحطان حليف لعثمان بن عبد الله القرشي التميمي المدني أخو طلحة بن عبيد التميمي، ينظر: ابن خلقون الأندلسي، الإمام مالك بن أنس، تح: محمد زينهم، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، ص: 20.

[4] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص: 355.

[5] – رياض أحمد عبيد العاني، المرجع السابق، ص: 355.

إلى جانب الغرناطيين وجدت جاليات إسلامية الوافدين من خرسان، إيران، السودان والهند حسب ما ذكره أحمد مختار العبادي، أما بالنسبة لأهل الذمة (اليهود والنصارى)، كان عددهم بنسبة كبيرة لأنهم سكنوا غرناطة منذ القدم، من أجل استخراج وصناعة الذهب عن طريق جمع الرمال الغنيّة بالذهب التي يجرفها نهر حدرة شديد الانحدار[1].

فلا يوجد إحصائيات رسمية تفيد تعداد الشعب الغرناطي ولكن يوجد تقرير افتراضي ورد بطريقة غير مباشرة من المسيحيين، بحيث يقدر الشعب الغرناطي بأربع ملايين نسمة، وعدد سكان العاصمة بمائتي ألف نسمة وفيها يؤكد السفراء أن 10/1 من الشعب الغرناطي من أصول عربية أصيلة والباقين 10/9 من أصول مسيحية عبر ممر العصور، في حين يرى المسلمون أن الغالبية العظمى من سكان غرناطة هم من العرب المسلمين وقدر عددهم مابين عامي 888ه – 890ه/ 1483م – 1485م، أربعة ملايين نسمة، وكان معظمهم من أهل الشام الذين يتمثلون في الجند[2] .

أما بخصوص البربر فقد ازداد عددهم في عصر غرناطة، فأصبح عدد المقاتلين من البربر يشكلون جزءا من الجيش الغرناطي، وهنا يقول لسان الدين ابن الخطيب في كتابه "جندهم صنفان أندلسي وبربري...والبربري منه يرجع إلى قبائل المرينية و الزنافية و التجانية و المغراوية و العجيسية والعرب المغربية..." [3]

[1] – أحمد مختار لعبادي، المرجع السابق، ص ص: 357– 358.

[2] – الجند: "استقر في غرناطة الشاميون من مختلف المناطق منهم جند دمشق متواجدين في غرناطة وشاط والشيليين وبُرصة وباغة وقبذاق، أما بالنسبة إلى جند حمص كانوا في اشبيلية ولبلة، وجند الأردن كانوا في قبرة، بيانة، بالآي، وجند فلسطين كانوا في شذونة ..." ، ينظر: رياض أحمد عبيد العاني، المرجع السابق، ص: 355 .

[3] – لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص: 355.

**ب – العامل الاقتصادي:**

كانت الأندلس منذ وقت مبكر لها خبرة في استغلال السفوح والجبال والعمل على تهيئتها للزراعة على شكل مدرجات حول الجبال والمرتفعات، بالرغم من قساوة البيئة والموقع الجغرافي لغرناطة في جبال قاسية تحتاج إلى الكثير من العمل والجهد، إلاّ أنّ أبناءها استطاعوا تطويرها وتحويلها من أراضي صعبة إلى جنان وافرة الظلال كثيرة الخيرات [1] لقوله تعالى: **{ إِنَّ اللهَ فَالِقُ اَلْحَبِّ وَاَلْنَّوَى يُخْرِجُ اَلْحَيَّ مِنَ اَلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ اَلْمَيِّتِ مِنَ اَلْحَيِّ ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (95)}** (سورة الأنعام). [2]

إضافة إلى استعمال الأسمدة التي كانوا يعدونها من بعض الفواكه والفضلات الفائضة عندهم لخدمة أراضيهم، وكذلك مراقبة تحركات النجوم من سقوط وطلوع وما يصاحبها من رياح وأمطار، ويضعون في ذلك تقاويم حسابية لزراعة النباتات مثل تقويم قرطبة أو كتب الأنوار الذي يتناول علاقة الشمس والأفلاك بالمحاصيل الزراعية في فصول السنة المختلفة وهذا ما جعل مختلف الأمم تقتدي بهم في الزراعة وغيرها [3] .كما تتميز مملكة غرناطة بالصناعة المعدنية وتصدير الفائض منها إلى الخارج، إلى جانب صيد الأسماك وحفظها وتصديرها أيضا، ومن بين أشهر الصناعات التي كانت تشتهر بها غرناطة بأنواعها المختلفة مثل الخز[4] والديباج [5] .

فكانت النساء يقمن بإنتقاء الشرانق ورعاية بيض دودة القز من شهر فيفري إلى شهر مارس من كل سنة، ومن أهم مراكزهم: غرناطة، مالقة وجبال شيلر، فكان حريرها يصدر داخل وخارج اسبانيا لامتيازه، بحيث تصدر المنسوجات إلى أوروبا مما جعلها تحظى بشهرة كبيرة في أواسط الطبقة الراقية [6] .

وقد اختلفت الصناعة النسيجية في الأندلس وتصديرها من كتان الحرير، القطن، المرعزى إلى تونس وبعض المناطق من أفريقية، بحيث تميزوا سكان غرناطة بتطوير ملابسهم حتى وصل بهم الأمر إلى رسم أسمائهم وعلامات تميزهم عن باقي الشعوب [7] وكانت ملابسهم من جلد الماعز وتسمى بالمرعزى[8] .

---

[1] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص: 367 .

[2] – سورة الأنعام، الآية 95.

[3] – أحمد مختار ألعبادي، المرجع السابق، ص: 367.

[4] – الخز: هو نسيج ناعم يصنع من الحرير أو الصوف أو الوبر، الابريسيم وهو الحرير الخالص، ينظر: أحمد مختار لعبادي، نفسه،ص:368 .

[5] – الديباج : وهو كذلك نسيج حرير موشى بخيوط من ذهب أو فضة بأشكال حيوانات ونباتات ونحوها، يعرف بإسم البروكادو، ينظر: أحمد مختار لعبادي، نفسه، ص: 368 .

[6] – نفسه، ص: 369.

[7] – أحمد رياض عبيد العاني، المرجع السابق، ص: 353.

[8] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص: 356.

**ج – العامل السياسي:**

فقد ظهرت غرناطة على مسرح الأحداث السياسية في الأندلس عقب انهيار الدولة الموحدية في معركة العُقَّاب، وتتابعت القواعد الأندلسية تتلاشى الواحدة تلو الأخرى منها: اشبيلية وقرطبة ما عدا غرناطة التي نصب ابن هود عليها، في حين عارضه أهل غرناطة لجوره واستنجدوا بابن الأحمر وهنا البداية السياسية لحكم غرناطة [1] .

وقد تداول على حكم مملكة غرناطة عدّة ملوك نذكر من بينهم:

1 – محمد بن يوسف ( بن الأحمر) 635 – 671 ه / 1237 – 1272 م [2] ، فقد استلم غرب الأندلس إلى قشتالة بما في ذلك مدن طلبيرة وشلب وغيرها، كان ناصحا للمسلمين في بعض المدن والقرى، قام بمحاصرة فرناندو باشبيلية وأرسل أسطولا بحريا داخل الوادي الكبير[3]، وظل ابن الأحمر يعمل على تثبيت المملكة وجعل الحكم في مملكته وراثيا، وتوفي سنة 671 ه – 1272 م وهو في الثامن من عمره [4] .

2 – أبو عبد الله محمد بن يوسف الفقيه 671 – 701 ه / 1272 – 1303 م ، تولى هذا الأخير عرش غرناطة بعد وفاة أبيه، وُلد بغرناطة في سنة 633 ه – 1235 م ، بحيث قام بتنظيم شؤون الدولة والدواوين من رسوم، ألقاب وجباية، محبا للعلماء، أدار شؤون الدولة بكفاءة، قام بمعركة في بحر الزقاق واستولى على سفن النصارى ، ولّما حاولوا النصارى غزو غرناطة تصدى لهم بنفسه وهزمهم [5] .

3 – أبو عبد الله محمد بن الملقب (بالمخلوع) 701 – 708 ه/ 1301 – 1309م، نشب بينه وبين مشيخة الغزاة خلاف أدى إلى حروب داخلية استغلها القشتاليون لغزو أراضي المسلمون، فاستنجد هذا الأخير بالسلطان أبي الحسن المريني، فاستجاب له وأرسل جيشا مع ابنه، وحرروا جبل طارق من يد النصارى ولكنه اغتيل بعد هذا النصر من طرف مشيخة الغزاة قبل الرجوع إلى غرناطة[6] .

4 – محمد الخامس وازدهار غرناطة: 755ه – 793ه/ 1354م – 1391م، ارتبط ازدهار غرناطة بحكم هذا الأخير الذي امتدت فترة حكمه حوالي أربع وثلاثين سنة، وعند تولي أخيه الحكم إسماعيل بن

---

[1] – محمود السيد، تاريخ العرب في بلاد الأندلس، المرجع السابق، ص ص:71 – 72.

[2] – نفسه، ص: 74.

[3] – علي المنتصر الكتاني، المرجع السابق، ص: 36.

[4] – محمود السيّد، المرجع السابق، ص: 76.

[5] – نفسه، ص ص: 77 – 78.

[6] – علي المنتصر الكتاني، المرجع السابق، ص: 41.

يوسف، لذا اضطر محمد الخامس للفرار إلى المغرب، وبعد فترة زمنية عاد ومعه وزيره ابن الخطيب إلى غرناطة سنة 763ه – 1362م، نتيجة دعم السلطان المغربي له وملك قشتالة من جهة ثانية، بحيث مثل ابن الخطيب سفير غرناطة إلى قشتالة فكان محمد الخامس ذات صلة وطيدة مع مماليك مصر، في حين ألح ابن الخطيب على السلطان المريني عبد العزيز بضم غرناطة إلى المغرب الأوسط، فزاد العداء مع محمد الخامس وتوفي عبد العزيز، وهنا تمكن محمد الخامس من التدخل في شؤون المغرب والقبض على ابن الخطيب وتعذيبه وحرقه في سجنه سنة 776ه – 1374م [1] .

وفي عهد هؤلاء الملوك الذين سنذكرهم شهدت غرناطة في عصرهم عدة توترات ونزاعات حول السلطة، بحيث كان محمد السادس آخر حكماء غرناطة الأقوياء فقد خلفه يوسف الثالث، ودخل غرناطة بحماس في حفل ضخم لأنه كان مسجونا، ولما تولى حكمه عقد هدنة مع قشتالة لمدة عامين ولما انتهت المدة، حاول هذا الأخير تجديد المعاهدة فرفض القشتاليون وطلبوا خضوع غرناطة لقشتالة، وهنا رفض يوسف، فكانت الحرب هي البديل وانتهت بهزيمة المسلمين وسقطت "أنتقيره" على يد القشتاليين، وتوفي السلطان يوسف عام 820ه – 1417م [2] .

ثم تولى بعده محمد السابع الذي شهدت فترته مدة طويلة من سنة 820ه – 848ه / 1417م – 1454م، وتصاعدت النفوذ العربية في ظل الاضطرابات الداخلية، وتولى أحدهم يدعي يوسف الوراس وخلفه ابنه عبد البر ثم جاء محمد السابع على مواجهة المؤامرات التي أطاحت بحكمه مرتين، لينتهي الأمر بضعف مملكة غرناطة في عهد الخليفة سعيد ابن إسماعيل 848ه – 868ه / 1454م – 1463م ، وهنا يأتي انقسام غرناطة في عهد أبي الحسن علي الغالب بالله الذي انقسمت مملكة غرناطة في عهده إلى دولتين [3] 868ه – 1463م .

فقد بدأ ضعف سلطة غرناطة بموت السلطان يوسف بن الأحمر سنة 827ه – 1424م ، وكانت مملكة قشتالة تنشر نيران الفتن والدسائس والمنافسات بين بني الأحمر، فكانوا يتبعون هواهم، وينخدعون بالباطل ويدوسون المصلحة العامة سعيا وراء مطامعهم وأغراضهم الزائلة، وازداد ضعف غرناطة

[1] – عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص ـ ص: 275 – 277 .
[2] – محمود السيد، المرجع السابق، ص ص: 90- 91.
[3] – عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص: 288 .

باستيلاء قشتالة على جبل طارق 868ه – 1462م، وهو معبر النجدات الواردة من المغرب الأقصى[1].

وفي سنة 871ه – 1466م تولى سلطنة غرناطة عليّ أبو الحسن الغالب بالله[2] ، فحاول هذا الأخير منذ توليه مملكة غرناطة للمرة الأولى سنة 868ه – 1463م أن يقضي على الاضطرابات الداخلية والانصراف إلى الجهاد ضد قشتالة. لكن أخاه المعروف بالزغل تمرد عليه بمساعدة ملك قشتالة واستقل في مالقة لتنقسم المملكة بين الأخوين أبو الحسن في غرناطة والزغل في مالقة [3] .

بحيث كان لهذا الانقسام بين الأخوين سبب لضعف مملكة غرناطة، و لم يعلما بأن ذلك كان تمهيدا للحدث الأعظم بزوال الإسلام من الأندلس [4].

[1] – عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط2، دار الأهلة، عمان، 2011م، ص: 328.

[2] – عيسى الحسن، المرجع السابق، ص: 328.

[3] – عصام محمد شبارو، المرجع السابق، ص ص: 288 – 289 .

[4] – عيسى الحسن، المرجع السابق، ص ص:328 – 329.

# الفصل الأول

## أسباب سقوط غرناطة.

### المبحث الأول: أسباب غير مباشرة.

**أولا –** أسباب سياسية.

**ثانيا –** أسباب اجتماعية.

**ثالثا –** أسباب اقتصادية.

### المبحث الثاني: أسباب مباشرة.

**أولا –** اتحاد ممالك النصارى (قشتالة و أراغون).

**ثانيا –** الحصار النصراني لغرناطة.

**ثالثا –** سقوط غرناطة ومعاهدة الاستسلام.

**رابعا –** اضطهاد النصارى لمسلمي غرناطة وبروز الثورات.

تعتبر مملكة غرناطة هي آخر المماليك الإسلامية التي سقطت في الأندلس، وسقوطها يمثل انهيار الوجود العربي الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية، الذي دام ثمانية قرون من الزمن بصفة عامة، أما بالنسبة لغرناطة في عهد بن الأحمر، فقد صمدت قرنين ونصف من الزمن، حيث سبق سقوط غرناطة استيلاء المماليك الاسبانية على المدن بالتوالي الواحدة تلو الأخرى، مما تولد عنها سقوط المدن الأندلسية في أحضان النصارى بكل سهولة.

**المبحث الأول: الأسباب غير مباشرة.**

لدراسة الوضع في أواخر ربع القرن من القرنين الأخيرين قبل السقوط النهائي لغرناطة خاصة والدول الإسلامية عامة في الأندلس، شهدت هذه الأخيرة عهد خمول وركون لمعاهدات مخزية مع النصارى، بُدلت الأحوال في الخمس والعشرين سنة من السقوط منذ 471ه – 1467م، كان يحكمها رجل يدعى محمد بن سعد بن إسماعيل بن الأحمر الذي كان يلقب الغالب بالله وله أخوه محمد ويعرف بابي عبد الله الملقب بالزغل[1]، حيث تخاصم هذا الأخير من أخيه في حين استعان أبو عبد الله محمد الزغل بملك قشتالة في حرب مع أخيه الغالب بالله وانتهت بالصلح، وهنا قسمت غرناطة إلى الجزء الشمالي يترأسه الغالب بالله والجزء الجنوبي وهي مالقة وعلى رأسها عبد الله محمد الزغل [2] .

كان سقوط مدينة جبل طارق[3] بيد القشتاليين عام 867ه – 1462م قاسمة الظهر لمسلمي غرناطة، بحيث كان انقطاع من امتدادات عدوة الغرب إلى الأندلس، وتسبب هذا الأخير بضعف وسقوط الدولة المرينية التي كانت يد العون لغرناطة [4].

[1] – الزغل : هو أبي عبد الله محمد بن سعد كان بينه وبين أخيه أبي الحجاج حربا أهلية فقتله، وله فتن أخرى مع ابن أخيه عبد الله محمد المدعوم من طرف قشتالة، فارتدى الزغل إلى وادي آش وتحصن بها وأصبح ملكا، وبعدها خرج منها بعد سقوطها سنة 1489م ، ينظر: عبد الله طويلب، الروابط الثقافية بين الدولة المرينية ودولة بني نصر في الأندلس القرن 7 – 10ه / 13– 16م، رسالة ماجستير، تلمسان، جامعة أبي بكر بلقايد، 2010م، ص: 38 .

[2] – أحمد محمد عطيات، الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، ط1، دار الأمواج، عمان، 2015م، ص: 89.

[3] – جبل طارق: يوجد في شرقي الجزيرة الخضراء وهو الجبل المعروف بجبل الفتح، ويسمى بجبل طارق، وله طرف خارج في البحر يسمى طرف الفتح، وعنده يلتقي البحران بجزيرة الأندلس، ينظر: عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط2 ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، ص: 265 .

[4] – عبد الواحد طه ذنون وآخرون، تاريخ المغرب العربي، ط1 ، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م ، ص: 407.

**أولا – الأسباب السياسية:**

وفي أواخر سنة 887 ه تولى محمد بن أبي الحسن علي عرش غرناطة، وهذا الأخير تزوج على زوجته عائشة الحرّة امرأة نصرانية سميت "ثريا"، بحيث كان أبو الحسن سلطانا ضعيفا محاطا بالمصاعب وتنافست نساءه في عصره على حيازة العرش على أبنائهن وطال النزاع بين أبي عبد الله وعمه أبي عبد الله محمد بن السعيد (الزغل)[1] ، وهذا ما تسبب في حرب أهلية بانحياز أبي الحسن إلى الملكة النصرانية ثريا [2] وأصبح أداة سهلة في يد زوجته الفتيّة الحسناء التي كانت كثيرة الدهاء وكان أسير حبّها، وقد طمعت أن يكون ولدها الأكبر السيّد "يحي" وليا للعهد في حين كان ابن عائشة الحرّة مؤهلا لولاية العهد [3] .

وهنا ثارت الأميرة عائشة وأبناءها فغادروا قصر الحمراء وأقاموا في حي البيازين، و لم يلبثوا طويلا إلا وباشر ولدها أبو عبد الله محمد بالتوسع وفر إلى مدينة واد آش [4] ، وأعلن الثورة على أبيه فقامت ثورة بين الأب والابن وفي جنوب شرق الأندلس انضمت إليه عائلة الثغريين، وخلال هذه الحرب الغرناطية وقع السلطان أبو عبد الله محمد في أيدي الأسبان أثناء قيامه بغارة في أراضيهم سنة 888ه – 1483م أسيرا، بحيث تمكن الملكين الكاثوليكيين من ابتزازه وتهديده، وأصبح آلة في أيديهما وأطلق سراحه فعاد ليواصل حرب أبيه الذي كان قد استرد عرشه [5] .

وفي سنة 890 ه / 1485م مات السلطان أبو الحسن علي بعد أن أصيب بالعمى والصرع وحّمل إلى الثغر المنكب، حيث دفن هناك فخلى الجو لولده أبي عبد الله محمد في حين عمّه أبا عبد الله محمد بن سعيد الزغل قام ضدّه مطالبا بعرش أخيه، وهنا استغل الأسبان الفرصة في صراع الزغل وابن أخيه،

---

[1] – حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط جديدة، دار الرشاد، القاهرة، 1997م، ص: 445.

[2] – ثريا: وتعرف بإيزابيلا الكاثوليكية ولدت عام 1451م،ولدت عام 1451م ابنة خوان الثاني ملك قشتالة وحفيدة أنريكي الثالث، تزوجت "دون فرناندو" أمير أرغوان عام 1469م،وعندما توفي أخوها أنريكي الرابع عام 1474م، استلمت العرش مكانه، وبعد الوحدة مع أرغوان، أصبحت هي وزوجها يعرفان بملكي قشتالة وأرغوان أو ملكين كاثوليكيين، ينظر: جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011م ، ص: 33 .

[3] – حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص: 447.

[4] – واد آش: يقال لها مدينة الآشات، وهي من مدن كرة ألبيرة بين غرناطة وبجانة، وهي غزيرة السقي كثيرة الثمر، الكتان والحرير وتنحدر إليها الأنهار من جبل الشيلر المطل عليها، وهو من أعظم جبال الأندلس طولا وارتفاعا، لا ينقطع عنه الثلج في كل الأزمنة شتاءا كان أم صيفا، ينظر: علي بن عبد الله اللخمي الرشاطي الأندلسي، الأندلس في اقتباس الأنوار والتماس الازهار في انساب الصحابة ورواة الاثار، تح: محمد سالم هاشم، مج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420ه – 1999م، ص: 90 .

[5] – أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص: 349.

فاستولى الأسبان على عدد من الحصون والمدن(رندة ولوشة، مالقة...) بين سنتي ( 890 ه – 892ه / 1485م – 1487م ) واستعمل الأسبان أسلحة نارية فتاكة لم يستطع الغرناطيين مقاومتها [1] .

في حين قام الأندلسيين والغرناطيين خاصة في تطوير الأسلحة النارية واعتمدوا بشكل متواصل على البارود، إضافة إلى إبداعهم في أنواع المدافع منذ أوائل القرن الثالث عشر ميلادي [2] ، ورأى الغرناطيين أن يعرضوا على الزغل انقسام ما تبقى من غرناطة خوفا من تمادي العدو في احتلالهم، واتفقوا على أن الزغل يستقر في واد آش، بينما تكون العاصمة غرناطة وأعمالها لابن أخيه أبي عبد الله محمد بن علي، وهنا قام الأسبان بإرسال رسالة إلى الزغل يعرضون عليه مالا كثيرا مقابل تسليم الحصون الشرقية من غرناطة التي تحت سيطرته وحكمه، حيث بثوا في نفسه الترهيب والخوف إن رفض هذا. ففضل هذا الأخير تسليم قواده والرحيل إلى فاس [3] ، ولكن السلطان المغربي محمد الشيخ الوطاسي نقم عليه ووبخه وصادر أمواله وعاقبه في حين رأى أبو عبد الله محمد بن علي، قد فرغت له الطريق وذهب الخطر بذهاب عمه ولكنه اصطدم بحقيقة مرة مفادها تقديم مملكة غرناطة، حينها صمّم على القتال حتى آخر نفس من أنفاسه مع تأييد أهل غرناطة له [4] .

وقد لجا الملك فرناندو إلى سياسة الحرب الاقتصادية على أهل غرناطة وإجبارهم على الاستسلام وقتلهم جوعا وحاصر المدينة سنة 897 ه – 1491م، وأفسد مروجها وبنى أمامها مدينة وسماها "سنتفي" أي الإمام المقدس لتكون قاعدته العسكرية، ويقول السلاوي الناصري "على الرغم من ذلك كله كان الطريق بين غرناطة وجبال البشرات[5] متصلة بالمرافق والطعام يأتي من ناحية جبل الشيلر إلى أن تمكن فصل الشتاء بما فيه من ثلوج بانسداد الطريق والمرافق، وقلة الطعام بحيث اشتد الغلاء وعظم البلاء وفرّ الناس من كثرة الجوع إلى البشرات" [6] .

---

[1] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص: 350.

[2] – محمد بشير العامري، إشراقات حضارية أندلسية، ط1 ، دار المكتبة الكندي، عمان، 2015م ، ص: 131 .

[3] – فاس: وهي مدينة من مدن المغرب الأقصى، يسكن حولها قبائل من البربر، ولكنهم يتكلمون بالعربية وهم بنو يوسف وفندلاوا، وهلول وزواوة، وإليها نقصد القوافل بمختلف البضائع والأمتعة والأصنعة الحسنة من مختلف الأجناس، ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، 1994م، ص: 45.

[4] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص ص: 51 – 52 .

[5] – جبال البشرات: ا ويقال لها بالإسبانية البوخاراس، وهي جبال بنواحي غرناطة يطلق عليها اسم جبال البوشارات، وهي جبال شاهقة تمتد سلسلتها إلى البحر المتوسط، وبها أدغال وأودية، لذلك اختارها الموريسكيون معقلا لثورتهم الحربية، ينظر: محمد قشتيليو، الموريسكيون في الأندلس وخارجها، ط3 ، مطبعة الأمنية، الرباط، 2008م، ص: 49 .

[6] – أبو العباس أحمد السلاوي الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج4 ، الدار البيضاء، 1954م، ص ص: 103 – 104.

وبعد مدة دامت سبعة أشهر من الحصار، خرج رؤساء أجناد المسلمين من غرناطة، بحيث أمنت لهم النصارى المال الجزيل والذخائر ثم عقدت بينهم وثائق وذلك بشروط وافقوا عليها، وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة، ونزل سلطان غرناطة أبو عبد الله محمد في الحمراء واستولى النصارى عليها في ربيع الأول سنة 897 ه جانفي [1] .

ويعتبر مكان زفرة العربي أو تهديدات العربي وهو المكان الذي تحدثت عنه الروايات الاسبانية عن الملك أبي عبد الله محمد آخر ملوك غرناطة، وهو المكان نفسه الذي أشار عنه أحمد التلمساني اسما لأخذ أرباض غرناطة الخارجية باسم "حوز الوداع أو جور الوداع". وهو المكان الذي اعتاد فيه أهل غرناطة قبل رحيلهم إلى التجارة، الحج...إلخ، وهذا الاسم كان معروفا عند الغرناطيين. وفيها يقول الشاعر ابن جابر في وصفها:

**بِجَــوْرِ الـــــوَدَاعِ لنَــا مَوْقِـــفُ أَذَابَ الفُـــــؤَادُ لأَجْــلِ الـــــــوَدَاعِ.**

**فَمَا أَنَا انْسِي غُـــــــــدَاةُ النَــوَى وَحَادِي الرَكَائِبِ للْبَينِ دَاعِـــــــــــي.** [2]

وعندما خرج أبو عبد الله محمد الصغير من غرناطة وذهب إلى نفس المكان الذي يطل على غرناطة بأكملها وبدأ يبكي على ما تركه، ومن هذا المنطلق قالت له أمه عائشة الحرة هذه العبارة الشهيرة **"ابك كالنساء ملكا مضاعا لم تدافع عنه كالرجال"**، وهنا طويت آخر صفحة من صفحات المجد العربي التليد، ووضع آخر ملوك العرب المسلمين حكما عربيا إسلاميا لازال صداه يتردد في ذاكرة العرب والمسلمين ومازالت معالم حضارته مضربا رائعا للأمثلة خالدة إلى يومنا هذا [3] .

فقد انكسرت شوكة المسلمين في الأندلس أثناء موقعة العقاب 609 ه – 1112م، وسقوط الدولة الموحدية في الأندلس وضعفها في المغرب، وعلى الرغم من هذا كان صمود غرناطة في وجه الصليبيين لمدة طويلة، إلا أنها لم تستطع المقاومة أكثر أمام حقد الملكين الكاثوليكيين إيزابيلا وفرناند[4] .

---

[1] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص: 353 .

[2] – نفسه، ص: 353.

[3] – آمنة أبو حجر، موسوعة المدن الإسلامية، ط2، دار أسامة، عمان، 2010م، ص: 73.

[4] – فرناندو الكاثوليكي: ولد في أراغون عام 1452م، "ابن خوان الأول" ملك أراغون، حكم أراغُون عام 1479م، بعد زواجه من إيزابيلا ب 10 سنوات، صار صار ملكين الأراغون و قشتالة وقادا الحرب ضد المسلمين الغرناطيين حتى سقوطها عام 1492م، ينظر: جمال يحياوي، المرجع السابق، ص: 33 .

بحيث كانت هجومات متكررة على المسلمين تتمثل في الحروب الصليبية[1] ، ووجود معارك مستمرة بين الطرفين مما أدى إلى قلة القوة البشرية وقلة المساعدات العربية من بني مرين وغيرهم [2].

وقد ودّع أبو عبد الله الصغير غرناطة بأعين باكية بغرض بقاء شعبه في غرناطة والحفاظ على ممتلكاتهم فيها، فقرر تسليمها هذا الأخير إلى النصارى وفق معاهدة متضمنة عدّة بنود تخدم مسلمي غرناطة [3] .

وتعود أسباب سقوط غرناطة لنفس الأسباب التي قامت عليها الدولة الموحدية على اعتبار أن التاريخ يعيد نفسه وهذا ما حدث في سنة 557 ه ،عندما أخذ ابن مردنيش غرناطة من عبد المؤمن بحيث جنّد نفسه مع ابنه يعقوب يوسف في عشرين ألف فارس ومحاصرة غرناطة في جبل قريب منها لعدّة أيام ثم القيام بهجوم ومحاصرة غرناطة ودخولها بكل سهولة، وتأسيس الدولة الموحدية [4] .

فقد كانت دولة بني مرين بالمغرب تمثل حبل النجدة بالنسبة للأندلسيين قبل وبعد سقوط غرناطة ففي عهد السلطان المريني أبي الحسن المتوفي سنة 1351 م، بدأت دولة بني مرين في الضعف وانشغالها بالفتن الداخلية وبروز أسرة بني وطاس على دواليب الحكم، واستطاع هذا الأخير القضاء على بني مرين، مما تولد عنه نقص الدعم والإمدادات للمسلمين في غرناطة [5].

وبعد حكم محمد الحفصي الغني بالله لم تعد مملكة غرناطة إلى سابق قوتها، بحيث تعاقب الملوك على العرش ووقعت بينهم الخلافات والحروب، وكان كل منهم يستعين بملوك قشتالة على ملوك إخوانه في كل معركة وكان المسلمون يفقدون حصونا وبلادا ذات أهمية حتى انتهى الأمر بمملكة غرناطة وما يجاورها [6] .

---

[1] – الحروب الصليبية: مأخوذة من الكلمة الإنجليزية Crusade وهي كلمة مشتقة من اللفظ الاسباني Cruzada أي عليه علامة الصليب، و تعتبر مرحلة هامة في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، والشرق الأدنى الإسلامي، وفي هذه الحروب نلاحظ الحماس الديني الكبير في الإسلام والمسيحية، ظلت هذه الحروب حوالي مائتي عام تقريبا وبتحديد الفترة الممتدة من 1095م – 1291م، ومدة أكثر من ذلك في أماكن أخرى، كالحرب التي دارت بين المسلمين وغرب أوروبا في الأندلس، والحملات الصليبية المتأخرة بعد انهيار الكيان الصليبي في بلاد الشام عام 1291م، ينظر: محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية 1095م – 1291م، ط1 ، دار النهضة العربية، بيروت، 1990م، ص: 17 .

[2] – محمد رضا بشير القهوجي، حاضر العالم الإسلامي، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت، 2000م، ص: 81.

[3] – عبد الواحد ذنون طه وآخرون، تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ص: 407 .

[4] – ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مر: محمد يوسف الدقات، مج9، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ص: 456.

[5] – جمال يحياوي، المرجع السابق، ص: 35 .

[6] – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص: 244.

وقد كانت غرناطة مع طول الأيام التي عاشتها دفاعية لا هجومية، بدأت وهي شبه تابعة على طريقة القرون الوسطى الأوروبية لمملكة قشتالة، وكانت تقدم لها ما يقدمه الإقطاعيون فهناك بعض الملوك الذين يدفعون من المال المقرّر والمعونة والحربية عند اللّزوم [1] .

وهكذا صارت قشتالة اكبر قوة في اسبانيا تحضر للاستيلاء النهائي على الأندلس، وتمكنت من فرض سيطرتها على غرناطة سلميا تحضيرا لمواصلة الضغط على المعاقل الإسلامية من الضغط النفسي على ملوكها، بحيث أصبحت غرناطة رغم المجهودات التي قامت بها في الحفاظ على كيانها تابعة للقشتاليين [2] .

يعتبر استسلام أمراء مملكة غرناطة ملوك الأسبان من اجل الحفاظ على ممتلكاتهم ، في حين النصارى لا يرضون على المسلمين حتى يتبعوا دينهم وملتهم، وهذا السبب راجع لاستنجاد أو استغاثة القائدين المسلمين من اليهود والنصارى ضد أبناء ملتهم، فلا طالما حذّرنا القران من أن نتخذ من أعدائنا سندا لنا أو نجعل منهم أنباء على أسرارنا ومصالحنا، لقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا لاَ تَتَخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْأَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ}**[3].

وهذه من مظاهر الخضوع والذل للأسبان بالاتفاق مع مماليك قشتالة وهذا سبب سقوط العديد من المدن الأندلسية [4]، بالإضافة إلى ذلك الصراع على الحكم العسكري المتمثل في من هو الأولى والأجدر بالقيادة والبعد عن الجهاد، مما تولد وتمخض عنه الضعف السياسي وفرض إتاوات عليها من قبل النصارى من حين لآخر، وهذا السبب راجع إلى نقص القوة البشرية بحيث قتل العديد من المسلمين أثناء المعارك مستمرة بين الطرفين، وأصبحت غرناطة عاجزة سياسيا وعسكريا عن تولي أمورها بنفسها [5].

سيطرة الأسبان على جبل طارق بحيث يعتبر الملاذ الوحيد الذي يربط غرناطة مع بلاد المغرب والشرق العربي، فهو سبيلها الوحيد منذ البداية المتمثل في الفتوحات، فهو يعتبر همزة الوصل بين

---

[1] – شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990م، ص: 133.

[2] – علي حسن الشطشاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، المرجع السابق، ص: 63 .

[3] – سورة آل عمران، الآية 118.

[4] – فتحي زغروت، سقوط الأندلس، ط1 ، دار الأندلس الجديدة، مصر، 2011م، ص ص: 17 – 18 .

[5] – علي حسن الشطشاط، المرجع السابق، ص: 63 .

الضفتين الشمالية والجنوبية، ولكن سرعان ما تحول هذا إلى مرآة عاكسة لصالح العدو، ألا وهو النصارى للضغط على المسلمين في الأندلس ونقطة قوة للتوسع في الجنوب [1].

فكان الأندلسيون كلما أحسّوا بخطر النصارى يحدّق بهم سارعوا إلى الاستنجاد بإخوانهم في الدّين كالعدوة المغربية من بني مرين، حيث كانوا يقومون بالدور الذي قام به المرابطين والموحدين قبلهم من جهاد في الأرض الأندلس [2].

وفي هذا الوقت كانت اسبانيا على علم بواقع الأوضاع المزرية التي آل إليها دول المغرب العربي من الضعف السياسي والعسكري، بحيث تأكدت قشتالة ماعدا نهضة المماليك في مصر والحفصيين في تونس والمرينيين في المغرب والعثمانيين في بلقان، لإنجاد غرناطة لأن هذه الدول لا تملك قوة للوصول والدفاع عن غرناطة [3] .

وكان الأمير أبي الحسن يظهر للناس الصلاح والعفاف، وهو عكس ذلك فبقي في تلك الفترة منشغل بالذات ومنهمك في الشهوات، وكان وزيره يضبط المغارم ويجمع الأموال ويأتي بها ويعطيها لمن لا يستحقها، وكان يقطع على الفرسان الشجعان المعروف والإحسان حتى باع الجند شبابهم وخيلهم وآلة حربهم وأكلوا أثمانها [4].

إضافة إلى استفادة ملوك غرناطة من الدروس السابقة التي مرّ بها التاريخ الأندلسي لاسيما عصر ملوك الطوائف[5] وما بعدهم، إذ عرفت الحضارة الأندلسية قمة في الترف[6]. وغلقت على نفسها باب الجهاد بحيث صرفت أموال في مجال البناء من قصور ومنازل فخمة، والاتجاه إلى الراحة والأكل والشرب واللباس وإهمال الجانب العسكري والحربي [7].

---

[1] – شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، المرجع السابق، ص: 133.

[2] – علي محمد الزبيري، ابن جزي ومنهجه في التفسير، ج1، ط1، دار القلم، دمشق، 1987م، ص: 71.

[3] – مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص: 145.

[4] – محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم الى المغرب خلال القرنيين 16 – 17، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991م، ص: 54.

[5] – ملوك الطوائف: فمنهم من كان من الفرس ونبيط وعرب، فهم أول ملوك الدنيا الأسكيان، كما ذكر عنهم علماء العرب، وهم من سمينا من ملوك سلف من الفرس الأولى إلى دار بن دارا، ثم الأردوان، وهم ملوك النّبيط وكانوا من ملوك الطوائف بأرض العراق مما يلي ابن هبيرة وسقى الفرات ....إلخ، وهم الساسانية، وقد كان ملوك الطوائف في الأندلس منهم: بنو جهور، بنو ذي النون، بنو عباد...إلخ، ينظر: أبي الحسن بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م، ص: 178.

[6] – الترف: هو التنعم والنعمة وسعة العيش، فقد ذكر في القرآن الكريم وارتبط ارتباطا وثيقا بالفساد، وإضاعة الصلاة، وقد كان الترف في الأندلس في مجال الغناء، و لم يكن وليد عصره، وهو امتداد لتاريخ مسلمي الأندلس ويقول في ذلك ابن خلدون "وما في ذلك أن أحوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول الأحقاب...كالمباني، الطبخ، الغناء، اللهو والرقص..."، ينظر: رامز إسماعيل طه الحلبي، عوامل سقوط الأندلس (92 ه – 711م / 897 ه – 1492م)، المرجع السابق، ص ص: 96 -97 .

[7] – عبد الحليم عويس، التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس، ط1، دار الصحوة، القاهرة، 1494م، ص: 26.

**ثانيا – الأسباب الاجتماعية:**

يذكر ابن عبد ربه أنه يجب على الحاكم أو السلطان بالتزامه العدل في ظاهر أفعاله وذلك بإقامة أمر سلطانه، وفي ضميره إقامة دينه، فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان، ومدار السياسة كلها على العدل والإنصاف أي لا يقوم سلطان لأهل الكفر والإيمان إلاّ بهما ولا يدور إلا عليهما مع ترتيب الأمور مراتبها وإنزالها منازلها، وينبغي على من كان سلطانا أن يقوم على نفسه حجّة الرعية...[1].

ومن خلال هذا يتبين لنا انه من واجب السلطان الالتزام بالعدل فان خالف هذا فقد تدهورت وفسدت سلطته وآلت إلى الزوال والانهيار وبالتالي تنتشر الفوضى ويعم الفساد.

فالشروط التي تستوجب على السلطان أو المترشح لمنصب الحكم يجب عليه بالتقوى والصلاح والعلم والالتزام من اجل غاية وحيدة، وهي صلاح الأمة والتي تتمثل في الصفات الحميدة للسلطان [2] ، فيعد سقوط غرناطة في يد الملكين الكاثوليكيين، فقدت غرناطة لمظاهر قوتها بسبب الأسرة الحاكمة التي تنازعتها الأهواء من خلال تلك القلاع والحصون التي سقطت في يد النصارى، وهنا لم يبق للمملكة الصامدة سوى أن تعد أيامها خاصة بعد توقيع الزغل معاهدة صلح مع الأسبان مقابل امتيازات معينة [3].

[3].

ويعتبر سبب ضياع الأموال وسوء الأحوال والانغماس في الشهوات والركون في الترف وعدم إعداد الأمة للجهاد، سبب رئيسي وعامل من عوامل سقوط الدولة. فالأندلسيون عامة في أواخر أيامهم القوا بأنفسهم في أحضان النعيم وما يرضي أهواءهم من أشكال الترف، فذهبت أخلاقهم وماتت فيهم روح الجهاد [4].

وفي الحديث الشريف إشارة إلى ماسبق ذكره، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:**{أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَتِهِ فَالأَمِيرٌ الذّي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَ الرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُم، والمَرْأَةُ رَاعِيةٌ فِي بَيْتِ بَعْلِهَا ووَلَدِهِ وهِي مَسْؤُولَةٌ عَنهُمْ، والعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ}**[5].

---

[1] – ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تح: مفيد محمد قتيبة، ج1، ط العلمية، دار الكتب العلمية، ص: 5.

[2] – مقرين بن محمد اليعطوري، سيرة مشائخ نفوسه، تح: توفيق عياد الشقروني، مؤسسة توالت الثقافية، 2009م، ص: 11.

[3] – جمال يحياوي، المرجع السابق، ص: 36.

[4] – علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، مكتبة حسين العصرية، بيروت، ص: 267.

[5] – رواه البخاري ( 7138)، ومسلم ( 1829).

إن انغماس الحكام في هذه الرذيلة شيء أعظم لأنهم يمثلون الطبقة الهامة في تسيير شؤون الرعية، فبفساد الراعي تفسد أخلاق رعيته، والمتبين والملاحظ أن سقوط الأندلس في النهاية كان لانتشار هذا السبب بكثرة في المدن الأندلسية وعلى مر العصور التاريخية جيلا بعد جيل [1].

ومن مظاهر سوء الحياة الاجتماعية لمدينة غرناطة هو ابتعاد حكامها عن سلوك الأمراء ذوي الآراء السديدة والأخلاق الحميدة والصلابة وحب الجهاد، كما نلاحظ أنه في عهد أبي الحسن شهدت غرناطة التوتر وآلت إلى السقوط، بحيث كان هذا الخير منغمس في الملذات وانشغاله بالشهوات واللهو بالنساء المطربات، واهتمامه بالحفلات وضيّع الجند وأسقط الكثير من الفرسان، وهكذا صارت أوضاع الحكم الداخلية مساعدة على سقوط غرناطة [2].

وفي ظل هذا التنافس على السلطة بين الحكام ابتعدوا عن دائرة الأخوّة والإتحاد من أجل تحقيق وحدة الجماعة وهو ما حذّرنا منه الله تعالى بقوله: **{وَلاَ تَكُونُوا كالذِّينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُم الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**[3] ، وقوله تعالى أيضا: **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَقُوا}**[4]. وهي دلالة واضحة على وجوب الاجتماع والشورى في أمور الرعية وكل ما يتعلق بالدولة، وعلى السلطان الحرص في اتخاذ قراره[5].

ونجد أيضا أن ظاهرة الترف تتمثل في كثرة الحاجات والإنفاق فتضرب المكوس على أثمان المبيعات في الأسواق، بحيث يعتبر عامل من عوامل انهيار الدولة وزوال ملكها وكانت غرناطة تعاني من هذا الوضع [6].

وعليه فإن الترف من أهم دوافع السقوط لما له من أضرار اجتماعية وإنحلال خلقي بعيد كل البعد على أخلاق الدين الإسلامي الحنيف لقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}**[7] ، بحيث سقطت الأندلس لتشتت أهواء أمراءها كونهم اهتموا بملذاتهم وشهواتهم والإنفاق في الحفلات والابتعاد عن أمور الدولة والرعيّة [8].

---

[1] – محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 – 17، المرجع السابق، ص: 54.

[2] – نفسه، ص: 54.

[3] – سورة آل عمران، الآية: 105.

[4] – سورة آل عمران، الآية: 103.

[5] – محمد موسى الشريف، استجابات إسلامية لصراخات أندلسية، الأندلس الجديدة، ص: 24.

[6] – علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، المرجع السابق، ص: 267.

[7] – سورة آل عمران، الآية: 102.

[8] – علي المظفر، غابر الأندلس وحاضرها، ط1، مصر، 1923م، ص: 145.

كما يتكون المجتمع الغرناطي من عدّة طبقات منها طبقة الملوك والأمراء، طبقة الوزراء والقضاة، وطبقة العلماء والمدرسين من قرّاء ومحدّثين وطبقة الصوفية الصلحاء وطبقة العمال، وطبقة الأرقاء والعبيد التي ولدت بينهما نزاعات أدت إلى سقوط المملكة [1].

كما كانت لهذه الطبقات والطوائف من حكام ومحكومين في التأثير على الحياة الإجتماعية في غرناطة فكان السبب الرئيسي هو عامل الترف الذي ساهم في فساد الأخلاق، وأصبحت الأوضاع الداخلية متدهورة، مما مهّد الطريق للأسبان للتدخل في شؤونهم الداخلية والسيطرة عليهم [2].

كما استطاع الأسبان طمس الشخصية الوطنية الإسلامية وذلك بتطهير جدران الحمراء المزيّنة بالنقوش العربية الجميلة، فكسوها بطبقة كثيفة من الكلس، ويظهر أن التكليس الذي تساوى في حبّه للإسبان هو ممّا يرغب فيه بعض الشعوب المتمدنة التي لا ترى ما هو أطيب منه للزينة [3].

كما يذكر عبد الله حمادي عن غرناطة فيقول: "ماذا أقول والقول قبل القائلين قد تأهب للرحيل وسادت الأمل المنشود، تألقت خطواته وهو يداعب الحمراء، مكفكفى زفرات قابعة في جوز الوداع والحمراء"، وعلى سفوح الجبال البشرات المكللة بآمال المغيب الرائح نحو مرافئ أخرى وألام جديدة تنذر بالرحيل...لا غالب إلاّ الله...والعافية للياسمين والأبراج الحافلة بالأفراح وتقوى الصابرين..."[4].

[1] – علي محمد الزبيري، المرجع السابق، ص ص: 92 – 93.

[2] – محمد رزوق، المرجع السابق، ص: 54.

[3] – غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، ط3، دار العالم العربي، القاهرة، 2014م، ص: 296.

[4] – عبد الله حمادي، الأندلس بين الحلم والحقيقة (حوار مع شعراء أندلس اليوم)، دار المهدي، الجزائر، 2004م، ص: 5.

**ثالثا – الأسباب الاقتصادية:**

أما بالنسبة للعوامل الاقتصادية فقد شهدت غرناطة التكاثر المادي والتنافس المعماري ففي عهد محمد الخامس من بني الأحمر، وصلت عمارة الأندلس غايتها إذ كان هو نفسه ميالا للدُعة، فارتقى في غرناطة من الناحية المادية والمعمارية حتى غدت أكثر المماليك رقيا وازدهارا. ولم يعمد إلى استغلال فرصة لتقوية بلاده وإعادة مجدها، وعدم اهتمامه بالسلام وبضاعة الرّجال الأكفاء [1].

في حين يعتبر قصر الحمراء بغرناطة بأبراجه عن الصراع الأليم الذي انتهى بضياع الأندلس، ففيه وضع رجال الفن من مسلمي الأندلس عصار ما وصلت إليه عبقريتهم وخلاصة فنهم، وهو يكشف عن حقيقة طبيعية هي رغبة الشعب بلغ ذروة التطور في التمتع بحاضره، خوفا مما يخبئه له القدر في غدّه، وكل شيء فيه تمّ إعداده بدقّة التي لا سبيل بالتغافل عنها، وهي ترك البسمة الإسلامية في الأندلس[2].

وتعتبر المغارم المالية وكثرة الضرائب في البلدان ومكس الأسواق، ونهب الأموال والشح بالعطاء إلى غير ذلك من الأموال التي لا يثبت معها الملك، إذ عرفت الحضارة الأندلسية قمّة في الترف وغلقت على نفسها باب الجهاد، بل عمدت على بناء القصور والمنازل وبذل السبيل من اجل الراحة، والتكاثر المادي وإبعاد الأمة عن عوامل النهضة الحقيقية في سبيل التطور[3] . في حين كان الواجب عليهم عدم إهمال بلادهم والحفاظ عليها بشتى الطرق المختلفة، وأخذ التأثر من الكفار كما فعل أسلافهم مثل السلطان أبو عبد الله محمد ابن يوسف سلطان المسلمين بالأندلس المعروف بابن الأحمر[4] على اضطهاد ملك النصارى بالأندلس، وعدم الخضوع له. أطلق فيه وفي جنده النار بالسيوف وأخرب مدنه وديارة، وهذا عكس ما آل إليه الملوك الذين سبقوه في الفترة الأخيرة[5].

---

[1] – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص: 28.

[2] – السيّد عبد العزير سالم، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، ط1، دار العرب الإسلامية، بيروت، 1991م، ص: 527.

[3] – محمد رزوق، المرجع السابق، ص: 54.

[4] – ابن الأحمر: هو محمد بن يوسف بن الأحمر الملقب الغالب بالله الذي ثار على الموحدين وعلى ابن هود سنة 629 ه، وتمكن من السيطرة على جيان وشريش، ينظر: رياض أحمد عبيد العاني، مجلة" أحوال العامة في مملكة غرناطة 635 – 897 ه / 1237 – 1492م"، المرجع السابق، ص: 371.

[5] – محمد بشير العامري، دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي، ط1، دار غيداء، عمان، 2012، ص: 507.

وهنا يشير ابن الخطيب في كتاب "الإحاطة " أن الغناء شاع في غرناطة في قوله: "الغناء لمدينتهم فاس وحق في دكاكين التي تجمع كثيرا من الأحداث"، وكان الغرناطيون أيام عيد العصير يقفون أمام محاصيل الكروم في جو يسوده المرح والرقص، وكذلك انتشار الحشيش في غرناطة في القرن الثامن هجري بين الخاصة والعامة، وحلّ محل الخمر في مجال الطرب، ويقال أن السلطان أبا سعيد البرميخوا كان من مدمني الحشيش [1] .

حيث اختلفت الصنائع بمستواها الرفيع في دولة بن نصر حتى أيامها الأخيرة، فأصبحت أساسا لثروة البلاد وغناها، ونخص بالذكر صناعة المعادن التي بلغت درجة من الدقة، والدليل على ذكر الآثار المعمارية الإسلامية في الأندلس الأكثر فخامة ورقي وازدهار كقصر الحمراء في غرناطة الذي كان عامل من عوامل سقوط غرناطة كما ذكرنا سابقا [2] .

سيطرت النصارى على مذيق جبل طارق الذي كان مصدر للتّجارة المفتوحة والحرة من قبل غرناطة والعالم الخارجي بحيث كان نقطة أساسية يربط بين التجارة والحروب على حدّ سواء [3] .

بُعد أهل غرناطة عن الجهاد وإرضائهم بالقليل من دفع الأموال للمسحيين مقابل حفاظهم على منزلتهم، فقد أدّى كل هذا إلى كساد اقتصادي فقد شكل اقتصاد غرناطة في تلك الآونة بسبب قطع وحرق المزارع، وقطع الطرق وانعدام التجارة والأمن واستنزاف طاقات الدولة وذلك بفرض إتاوات عليها من قبل النصارى [4] .

لقد اقتصرت فترة الحكم على السلاطين بحيث كان أهل غرناطة يبقون على السلطان الذي يحارب ويعود محملا بالأسلاب والغنائم، أما السلطان الذي ينهزم يعزلونه، وهذا ما أدى إلى نشوب حرب أهلية بين أمراء بيت الملك[5].

---

[1] – السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي)، ج2 ، دار النهضة العربية، بيروت، 1972 م، ص: 117 .

[2] – كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية، نبي أمين فارس، منير البعلبكي، ط1 ، دار العلم للملايين، بيروت،1998 م،ص: 341 .

[3] – شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص: 148.

[4] – علي حسن الشطشاط، المرجع السابق، ص: 63 .

[5] – عاصم الدين عبد الرؤوف الفقي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م، ص: 301.

تأثر المسلمين في غرناطة والأندلس بأعياد النصارى واحتفالاتهم من بينها عيد ميلاد السيّد المسيح بالاسبانية ( Navidad نبيداد) في 25 كانون الأول من كل عام، وليلة العجوز ( Nochevieja نوجي بيجب)، والليلة الأخيرة أو القديمة من كل عام، وليلة عيد الفصح أو القديس ( Samana-santa سمانا سناتا)، ولا تزال هذه الأعياد يحتفل بها في اسبانيا، وقلدّها المسلمون واحتفلوا بها مع النصارى وكانوا يستعدون لها، بحيث ينصبون موائد خاصة بها تحتوي على أكلات ومعجنات حلوة ويرتدون ملابس فاخرة وجديدة ويرقصون ويغنون في لياليها، مما أدى إلى تدخل النصارى في أوضاعهم وإنفاق ميزانية كبيرة في أعياد لا علاقة لها بالدّين الإسلامي [1].

وهنا نجد شعراء الأندلس يتغنون بها (غرناطة) ووصفها بجنات الخلد، بحيث قال الشاعر ابن خفاجة الأندلسي في أبياته هذه:

**يَـــا أَهْـــلَ الأَنْدَلُـــس الله دَرَكُـــمْ مَاءٌ وَظِـــلٌ وَأَنْهَـــارًا وَأَشْجَـــارَا.**

**مَا جَنّتُ خُلـــدٍ إلاّ فِـــي دِيارِكُـــمْ وَهَذِهِ لَـــوْ كُنْـــتَ خَيَّرْتُ اخْتِيَـــارَا.**

**لاَ تَنْقُوا بَعْدَهَـــا أَنْ تَدْخُلُوا سَقَـــرًا فلَيْسَ تَدَخُل بَعـــدَ الجَنَّةِ نَـــارَا.**

ومن خلال هذا الشعر يتبين لنا أن غرناطة امتازت بجمالية وخيرات اقتصادية، مما جعلها محطّة أنظار العدو الاسباني ونقطة فاصلة للقضاء عليها [2].

وكذلك العوامل الاقتصادية في تدهور مملكة غرناطة انتشار تناول الخمر والحشيش في باقي مدنها وهذا ما يؤكده كلام شعراء الأندلس، بحيث قال محمد الحجر الرعيني المعروف بابن خميس:

**دَعْ الخَمرَ والشَرابَ مِنْ مَدَامَة الخَيْـــدَرِ مُعتقَةُ خَضْرَاءَ اللَوْنِ الزَبَرجَـــدِ.**

وكذلك انشد الشاعر الغرناطي ابن الوحيد قصيدة عن الحشيشة، يذكر فيها:

**خَضْـــرَاءِ بَـــلْ لاَ تَفْعَـــل الخَمْـــر فِعْلَهَا لَهَا وثبَاتٍ فِي الحشَـــا وثبَـــاتُ**

**وَحَجُ النَـــــارِ فِي الحشَا وهِـــي جَنَـــةِ وتُبدِي لَذيـــذَ العَيْشِ نَبَـــــاتُ [3].**

[1] – محمد بشير العامري، إشراقات حضارية اندلسية، المرجع السابق، ص: 28 .

[2] – نفسه، ص: 13.

[3] – نفسه، ص: 30.

إضافة إلى ذلك عدم اهتمام ملوك غرناطة بحدود مملكتهم بل كان لهم الطموح الرفيع في الرقي المادي المعروف في مدينتهم، وجعلها مدينة متفوقة مدنيا في المجالات المعمارية والصحّية والترفيهية، بحيث عملوا على جلب مهندسين ومعماريين وفنانين الذين كلفوا الدولة ميزانية عظيمة[1] ، مثل قصر الحمراء الموجود في غرناطة والذي يعد إحدى العجائب التي تجلب إليهم السُّيَّاح من كل جانب[2]. وهو القصر الملكي لملوك بني نصر في الحقبة الإسلامية الأخيرة في الأندلس، باعتباره تحفة فنّية رائعة تمثل ذروة الازدهار الفنّي من حيث نقوشه ونافورته، وسميت بالحمراء لأن الربوة التي قامت عليها هذه القلعة تربتها حمراء اللون ولهذا عرفت باسم السبيكة، لأنها تكوّن تحت أشعة الشمس مثل سبيكة الذهب والذي كان محط أنظار العدّو الاسباني [3] .

لقد حوصرت غرناطة لمدّة سبعة أشهر من بداية محرم عام 897 ه إلى أواخر 1491م بحيث كانت وسائل الاتصال بالخارج مستحيلة، فعمّ الجوع واليأس وانتشر المرض [4]. وهذا نتيجة سيطرة النبلاء على مساحات شاسعة من الأراضي والأملاك التي كانت للأندلسيين الذين أصبحوا بعد ذلك أتباعا لهؤلاء السادة الجدد، ثم فرضت عليهم الضرائب[5] .

فقد تميزت الأندلس بصفة عامة وغرناطة بصفة خاصة بالتطور في عدّة مجالات اقتصادية وسياسية، وحتى اجتماعية والتي تتمثل في صناعات مختلفة من صناعة معدنية وخشبية وخزفية والمنسوجات والورق، وكذلك الفنون المعمارية وهي لا تزال خالدة إلى يومنا في الدول الاسبانية، من مساجد وجوامع من الأعمدة والتيجان، العقود، الأسقف، القباب، مآذن، بحيث تركت بصمتها كذلك من الناحية الإجتماعية التي ظهرت في السلوك الإجتماعي وتتمثل في الحفلات والموسيقى والغناء والرقص، والملابس والطعام وكل هذه الاهتمامات كانت من طرف أهل غرناطة في الرقي والتطور هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت سبب في السقوط [6] .

[1] – عبد الحليم عويس، التكاثر المادي واثره في سقوط الأندلس، المرجع السابق، ص: 28.
[2] – غوستاف لوبون، حضارة العرب، المرجع السابق، ص: 297.
[3] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص: 18.
[4] – يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر دراسة حضارية، ط1، دار الجيل، بيروت، 1993م، ص ص: 53 – 54.
[5] – عبد الفتاح عوض، فصول من تاريخ الأندلس، دار عين للدراسات، 2009م، ص: 156.
[6] – محمد عادل عبد العزيز، الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، دار غريب، 2005م، ص: 10.

**المبحث الثاني: الأسباب المباشرة.**

تتمثل أسباب سقوط غرناطة الداخلية في تلك العلاقة التي كانت بين جيرانها، والتي تتمثل بالدرجة الأولى بعلاقة عداء مع النصارى بصفة عامة وعلاقة أخوة مع الدول العربية بصفة خاصة، بحيث أن الدول الاسبانية النصرانية المتمثلة في دولتي قشتالة وأرغون [1]. تتخللها أوقات هدْنة ومصالحة تصل في بعض الأوقات إلى درجة الوقوف في صف واحد ضد العدو المشترك، حتى ولو كان من المسلمين [2].

**أولا: اتحاد ممالك النصارى (قشتالة وأراغون):**

اتحاد مملكتي قشتالة وأرغون في سنة 1489م نتيجة زواج فريناند من إيزابيلا على أن تقضي نهائيا على بني الأحمر، وتخرج المسلمين جميعا من الأندلس، وكان الشقاق المتصل الذي شتت شمل هذه السلالة الإسلامية، وما ساعد إيزابيلا على تنفيذ عزمها على أبي الحسن آخر أمراء غرناطة، وابنه الذي كان في شقاق معه المسمى أبي عبد الله، وتدخل فرناندو بعد أن نزع من العرب بعض من المدن الأندلس، وفي النهاية المطاف استسلام غرناطة اثر حصار مطول [3] .

فقد سلّم أبو عبد الله إلى فرديناند و إيزابيلا مفاتيح الحمراء اثر حفل أقيم يوم الثاني من جانفي فبعد فترة وجيزة، سيخترق الملكان الكاثوليكيان اتفاقيات التسليم المبرمة مع أبي عبد الله التي تتضمن بنود تسليم مملكة غرناطة[4].

ويتمثل الحقد الذي يكنه الأسبان للمسلمين وهو الحقد الديني، بحيث ظهرت قوة جديدة صليبية حقدت على الإسلام والمسلمين، التي عزمت على استرجاع مملكة الأندلس للأسبان، بحيث كانت اسبانيا تعد نفسها للقضاء النهائي على المسلمين في الأندلس [5] .

---

[1] – أراغون: هي ثاني المماليك النصرانية في اسبانيا، وتعد الثانية من حيث القوة بعد مملكة قشتالة، وهي مملكة قديمة في شرق الجزيرة الأيبيرية، ينظر: عبد الرحمان علي الحجيّ، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، بيروت، 1981م، ص: 529.

[2] – علي محمد الزبيري، ابن حزي ومنهجه في التفسير، المصدر السابق، ص: 67.

[3] – كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص: 343 .

[4] – ماريا روزا مينوكال، الأندلس العربية، إسلام الحضارة وثقافة التسامح، تر: عبد المجيد جحفة ومصطفى جباري، ط1، دار توبقال، 2006م، ص: 190.

[5] – علي أحمد، الأندلسيون في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس ميلادي حتى نهاية القرن التاسع هجري، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2008 ، ص ص: 40 – 41.

تميز أراغوان بقوة بحرية نشطة في البحر المتوسط وامتلاكه صقلية ونابولي، قد امتزج بالقوة العسكرية لمملكة قشتالة، وتميزت الملكة إيزابيلا بقوة برية، بحيث اتحد كل من فرياند وإيزابيلا وكونوا قوة برية وقوة بحرية، وهذا نتيجة الزواج الذي كان بين ملك أرغوان وملكة قشتالة في عام 874 ه ، وهو حدث مفاجئ ومذهل في تاريخ الأندلس الاسباني الذي ساهم في وحدة اسبانيا النصرانية والذي يعتبر نعمة عليهم، وفي الوقت نفسه نقمة على المسلمين الذين تفكك شملهم في بلد جعلوا منهم جنة فوق الأرض ألا وهي غرناطة [1].

وتعود أسباب الحروب الصليبية إلى الحقد الديني الذي يكنه النصارى للمسلمين، بحيث تنقسم أسباب الحروب الصليبية إلى أسباب سياسية، اقتصادية واجتماعية، بحيث أدخل الغرب الأوروبي وعلى رأسهم البابوية العامل الديني، ودمجه بكل هذه الأسباب مجتمعة [2] .

وفي الوقت الذي كان المسلمون يعانون من اضطرابات داخلية وفوضى سياسية عارمة وأزمات اقتصادية، حاولت المماليك النصرانية ان تتخطى كل الصعوبات والعراقيل التي تمنعها من تحقيق هدفها والوصول لإعادة الصليبية إلى الأندلس، بحيث كانت اسبانيا تبحث عن وحدتها السياسية متخطية كل الحواجز الجغرافية بفعل التفاوت الجهوي العميق، بالإضافة إلى التفاوت الاقتصادي بين المسلمين والأسبان الناجمة عن التفاوت الطبقي الذي أدّى إلى التفكك أكثر مما أدى إلى الوحدة ومركزية المسلمين [3] .

جعل قشتالة مركز استقطاب عدد من المتطوعين المتحمسين للمسيحية ظاهريا فقط، فجلب العرش القشتالي لذلك الجنود والضباط، أي أنه أصبحت لديه الإدارة الفعالة تسير بها نحو الوحدة، بحيث كان تعطش الصليبين لنشر المسيحية في الأندلس ككل، بحيث كانت تتمثل في حروب صليبية حاقدة على تواجد المسلمين بها رغم التسامح الديني الذي قام به العرب اتجاه المسلمين منذ الزمن الأول، للتواجد العربي الإسلامي في المنطقة وهذا ما ساهم في تعزيز قواتهم العسكرية وتنظيم حياتهم السياسية، وتمكنوا من تنظيم السلطة وإعادة النظام [4] .

---

[1] – علي حسن الشطشاط، المرجع السابق، ص: 61 .

[2] – محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية 1095 – 1291 م ، المرجع السابق، ص: 17 .

[3] – عبد اللطيف بن محمد الحميد، موقف الدولة العثمانية اتجاه مأساة المسلمين في الأندلس، ط1، الرياض، 1993 م، ص: 25.

[4] – محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، المرجع السابق، ص: 51 .

كما تفطن الصليبيون إلى غلق كل الإمدادات التي تساعد المسلمين في الأندلس عامة وغرناطة خاصة نظرا لموقع غرناطة الذي لا يبعد كثيرا عن بلاد المغرب، بحيث حاول الأسبان القضاء على مناطق وصول الإمدادات للمسلمين في غرناطة، إلا أنهم احتلوا جبل طارق سنة 767 ه- 1462 م، كما أن سبب السقوط يرجع إلى عدم شعور أهل غرناطة بما يحصل في المدن المجاورة لها، فسقطت المدن الواحدة تلو الأخرى في أيدي النصارى وآن الأوان ولحق الدور لأهل غرناطة، وهذا ما يدل على إهمالهم في سبيل الحفاظ على بلادهم [1] .

كما ذكرنا سابقا تلك الظروف الداخلية التي كانت تعاني منها الأندلس، الذي تمثل في الصراع السياسي بين الأمراء حول السلطة والحكم وانشغالهم بمصالحهم الخاصة، وابتعادهم عن تسيير دولتهم وإكمال مشوار أسلافهم في سبيل الحفاظ على دولتهم المجيدة، ألا وهو حراسة الثغور ومباغتة أعدائهم وردِّ كيدهم الخطير [2] .

[1] – محمد رزوق، المرجع السابق، ص: 52 .

[2] – محمد سهيل طقّوس، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط1، دار النفائس، بيروت، 2005م، ص: 609 .

**ثانيا – الحصار النصراني على غرناطة:**

استغل الأسبان فرصة انشغال المسلمين بالحرب التي قامت بين الزغل وابن أخيه أبي عبد الله واستولى على الأجزاء الغربية من مملكة غرناطة مثل رندة، ولوشة [1] ، ومالقة فيما بين سنتي 890 ه – 892 ه / 1485 م – 1487 م ، هنا قام فرناند إلى سياسة حرب اقتصادية ضد أهل غرناطة من أجل إجبارهم على الاستسلام، بحيث حصر المدينة سنة 896 ه – 1491 م ، وأفسد مروجها التي تتمثل في المحاصيل الزراعية وبني أمامها مدينة وسماها " شنتفى " أي الإيمان المقدس، وجعلها قاعدة عسكرية لها [2] .

وكذلك تعود الأسباب الخارجية من ذلك بما يتعلق ببلاد المغرب، وهي موطن الإمدادات والمراكز العسكرية التي كان يخرج منها الجند لمساعدة المسلمين الأندلسيين، ومواصلة دور الحماية لهم، فقد كان المغرب ولفترة طويلة جدا المصدر الذي يحمي الأندلسيين من الجهة الجنوبية والذي كان موطنا ومنبعا لتواصل رسائل الاستغاثة التي كان يرسلها الأمراء الأندلسيون، خاصة في زمن ملوك الطوائف واستنجادهم بالمرابطين ثم العبور الثاني للموحدين للأندلس والذي حفظ المنطقة لمدة طويلة [3].

ضعف دولة بني مرين التي كانت في طريق التفكك والانحلال، ومن مظاهر ضعفها أن الدولة كانت تعاني من محنة شديدة أمام القوات النصرانية الموحدة، وتحطم أسطولهم واضطراب أمرهم في المغرب وهذا ما جعلهم لعدم إنجاد إخوانهم في الأندلس، إلى جانب ذلك عجز مملكة بني عبد الواد في تلمسان وتراجع قوّة الحفصيين في تونس، مما أدّى إلى ضعف دول شمال إفريقيا وعدم مدّ يد العون للأندلسيين [4] .

---

[1] – لوشة: بالفتح ثم السكون، وهي مدينة بالأندلس غربي البيرة قبل قرطبة ، منحرفة يسارا، وهي مدينة طيبة على نهر سنجل نهر غرناطة، بينهما وبين قرطبة عشرون فرسخا، وبين غرناطة عشرة فراسخ، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد 5 ، دار صادر، بيروت ، 1404 ه- 1984 م ، ص: 26 .

[2] – عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ج2، مؤسسة شباب الجامعة، 1993م، ص ص: 367 – 368.

[3] – محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، المرجع السابق، ص: 606.

[4] – نفسه، ص: 606.

مع أننا نأخذ كل ذلك في تقديرنا، ونؤمن بأن سقوط غرناطة كان حصاد عوامل كثيرة من أبرزها الابتعاد عن العقيدة والرسالة الدينية والحضارية التي قامت عليها الأندلس، وانتصر بسببها جيش الفتح المكون من أخلاط البشر الذين لا توحّدهم إلاّ العقيدة، و لم يكن يزيد عددهم عن عشر النظامي الذي يقاتلونه...فضلا عن ضالة إمكاناتهم التي قاتلوا بها تحت قيادة البطل المسلم البربري العظيم[1] طارق بن زياد[2] .

[1] – عبد الحليم عويس، التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس، المرجع السابق، ص: 33.

[2] – طارق بن زياد: تختلف المصادر حول نسب طارق بن زياد، فيشيرون أنه كان عربيا من قبيلة صدف، ومنهم من يقول أنه كان فارسيا همذانيا، ويذكر ابن عذارى أنه من قبيلة "نفزة"، فنقله عنه الحميري الإدريسي، وابن خلدون والمقرّي، فأصبح هذا النسب هو المرجح والموثوق لدى بعض المؤرخين والكتاب، فقد ولد طارق بن زياد في إحدى مدن المغرب العربي وهي من مدن قبيلة "نفزة" خلال خمسينيات القرن الأول هجري، وهو عهد القائد العربي عقبة بن نافع الفهري في بلاد المغرب، الذي اختط مدينة القيروان سنة 50 ه، فقد تلقى الإسلام عن أبيه زياد عن جدّه عبد الله فهو ينحدر إلى أسماء بربرية وينتمي إلى "نفزة"، له خطبة شهيرة بعد نزوله إلى الأندلس التي ألقاها على جنوده، وصل إلى منزلة رفيعة في الجيش العربي والدولة العربية الإسلامية، وقيادته أخطر المعارك العسكرية في التاريخ العربي، كان اليد اليمنى لموسى بن نصير، ينظر: سوادي عبد محمد، طارق بن زياد، حياته، ظهوره، نسبه، خططه العسكرية ووقائعه في الأندلس والمغرب، ط1، سلسلة نوابغ الفكر، 1988م، ص: 14 – 18 – 25.

**ثالثا – سقوط غرناطة ومعاهدة الاستسلام:**

بعد اتفاق أبي عبد الله حاكم غرناطة مع فرديناند وتفاوضه على مسألة الاستسلام وانعقاد معاهدة التسليم التي أسفرت عن حسن نيّة اسبانيا اتجاه المسلمين الذين لم يرغبوا في الرحيل عن الأندلس، وتمسكوا بأراضيهم التي كان مقابلها وعود كاذبة التي قدمتها اسبانيا لمسلمي الأندلس، لما يمتلكون من عقائد دينية وغيرها من مجالات الحياة.

لقد اختلف المؤرخون في تحديد عدد بنود الاتفاقية ومعاهدة الاستسلام التي كانت بين أبي عبد الله الصغير آخر ملوك العرب والملكين الكاثولكيين "فرناند و إيزابيلا" هذه بحيث يذكر نزار علي الطرشان أن المعاهدة احتوت أكثر من خمسين مادة تحدد العلاقات المختلفة بين الطرفين[1] .

في حين يذكر عصام محمد شبارو أن المعاهدة قد اشتملت على مواد وشروط بلغت سبعة وستون بندا، والتي ذكرها المصادر الإسلامية المتمثلة في تامين الصغير والكبير والأهل والمال، وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم، وإقامة الشريعة بينهم على ما كانت عليه في السابق، ومع إبقاء المساجد والأوقاف، كما هي دون تدخل النصارى في شؤون المسلمين، إضافة إلى إعطاء غلات أو قفاف المساجد والمدارس إلى أهل المسلمين، وألا يحمل المسلمين أية علامة مميزة التي يحملها اليهود[2] وأهل الدّجن [3] .

أما بالنسبة للنصوص المتعلقة بالمساجد التي أشارت إليها المعاهدة وهي فيما يلي:

– أنه لا يصعد أي مسيحي السور القائم بين الحمراء والبيازين كي لا يكشف عورات المسلمين في بيوتهم.

– عدم إكراه المسلمين على التنصير.

– السماح للمسلمين بممارسة شعائر دينهم دون المساس بمساكنهم وأبراجهم.

– لا يسمح لأي مسيحي أن يدخل المساجد أو أي مكان لعبادة المسلمين دون إذن مسبق من الفقهاء[4].

---

[1] – نزار علي الطرشان، مساجد حولت إلى كنائس، دراسة تاريخية معمارية في الأندلس، ط1، مؤسسة الحمادة للدراسات الجامعية، الأردن، 2011م، ص: 64.

[2] – محمود السيد، تاريخ العرب في بلاد الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2005م، ص: 110 – 111.

[3] – أهل الدّجن: مشتق من دجن أي أقام خاضعا، وقد ذهب دي لاس كاخيجاس إلى ان اللفظ لابد أن يكون قد استعمل أولا في أراغوان ثم شاع استعماله بعد ذلك، وأصبح يطلق على عامة المسلمين الذين يبقون في بلادهم، بعد استيلاء النصارى عليها، وهو سابق على لفظ المورسكيين، الذي استعمل في أول الأمر في القرن الخامس عشر، أثناء الصراع الأخير بين النصرانية ومملكة غرناطة للدلالة عن من كان يدخل في طاعة ملوك النصرانية من مملكة غرناطة، ثم أطلق على كل مسلمي غرناطة عندما سقطت في أيدي ملكي قشتالة وليون، ينظر: أبي العباس بن محمد التلمساني الونشريسي، أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى و لم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، تح: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، 1996م، ص: 14 – 15.

[4] – نزار علي الطرشان، المرجع السابق، ص: 64 – 65.

- في حالة دخول أي مسيحي إلى مترل مسلم فالواجب على صاحب السمو إيقاع عقوبة عليه.
- تولى الفقهاء إدارة الجوامع والحلقات الدراسية وكل ما يتعلق في مجال الصدقة أو عمل الخير.
- عدم إرغام أيّة مسيحية يتزوجها أي مسلم.
- في حالة دخول أي مسيحي سواء أكان ذكرا أم أنثى في الدين الإسلامي قبل توقيع هذه الاتفاقية، فلا يحق لأحد من المسيحيين أن يهدده أو ينال منه في أي شكل من الأشكال.
- لا يجوز إجبار المسلم أو المسلمة باعتناق المسيحية الاسبانية بأي حال من الأحوال.

وبعد التوقيع على هذه المعاهدة صدّرت أوامر بوجوب تعميم محتوياتها على الأمراء والوزراء والقادة العسكريين والرهبان والرعية، وصدر اثر ذلك مرسوم يهدد كل من تجرا على المساس بما تضمنته هذه المعاهدة[1] .

سقوط غرناطة رغم صمودها لمدّة قرنين ونصف من الزمن، إلاّ أنها آلت بالسقوط في يوم الإثنين الأول من ربيع الأول 897ه / 2 جانفي 1492م، لتسقط معها الأندلس وتضيع نهائيا فتحولت إلى الفردوس المفقود [2] .

فإن النصوص هذه المعاهدة كانت تحفظ بحق الجميع بالعيش بسلام وممارسة طقوس العبادة كلا من الطرفين بالحرية والاستقلالية التامة، إلاّ أن المسيحيين الأسبان وبالأحرى منذ دخول الملكين الكاثوليكيين إيزابيلا وفرناند إلى غرناطة لم يحفظوا المعاهدة، وبعد ذلك راح الصراع الإسلامي المسيحي الاسباني، وهنا كان المسلمين أكثر تضررا وانتهاكهم لحرماتهم [3].

نستنتج أن هذه المعاهدة كانت مجرد حبر على ورق، وهذا ما جعل المسلمين يتحملوا كل ما لحق بهم من طرف النصارى ورغبتهم في البقاء على أرضهم والتمسك بها، وتصديق اسبانيا بالوعود الكاذبة التي أطمعتهم بها، فكان هذا كله مجرد خلافا لما أبرم ونقضا على ما اتفق عليه الطرفان.

[1] – نزار علي الطرشان، المرجع السابق،، ص: 25.
[2] – عصام محمد الشباط، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91 – 897ه / 810 – 1492م)، المرجع السابق، ص: 304.
[3] – نزار علي الطرشان، المرجع السابق، ص: 26.

وتذكر المادة الأربعة والأربعين التي نصت على أن يقوم الملكان بالإفراج عن الأسرى المسلمين ذكورا وإناثا من أهل غرناطة والبيازين [1] ، إفراجا حرا دون أية نفقة من فدية أو غيرها، وأن يكون الإفراج عمن كان من هؤلاء الأسرى بالأندلس في ظرف خمسة الأشهر التالية، وأما الأسرى الذين بقشتالة فيفرج عنهم خلال ثمانية أشهر التالية، وكذلك نصت به المادة الأربعة والعشرون[2].

وقد وردت المعاهدة نصوصا تتعلق لمن يطالبها أنها لصالح المسلمين، دون أن يدرك ما تبين في أحشائها، فقد أكدت تنازل القشتاليين عن الضرائب مدة ثلاث سنوات [3] ، وهذا ما نصت عليه المادة التاسعة " لا يحق لصاحب السمو لمدة ثلاث سنوات من تاريخه تحصيل الإتاوات من الملك أبي عبد الله الصغير وسكان غرناطة والبيازين وأرباظها، المتمثلة في الإتاوات التي يترتب أداءها عن دورهم وأملاكهم الموروثة، بل يكفي أن يدفع المسلمون لصاحب السمو، عشر الخبز والذرة وعشر المواشي خلال شهر رمضان [4] .

ومن جملة الشروط التي شرطها أهل غرناطة على ملك الروم أن يؤمنهم على أنفسهم وبلادهم ونسائهم وصبيانهم ومواشيهم ومحاريثهم في جميع ميادينهم، ولا يغرمون إلا الزكاة لمن أراد الإقامة في بلده غرناطة، ومن أراد الخروج منها يبيع أصله بما يرضيه من ثمن لمن يريده من المسلمين أو النصارى من غير عين، ومن أراد الجواز لبلاد العدوة بالغرب يبيع أصله ويحمل أمتعته للمكان الذي أراده، ومن أراد الإقامة في غرناطة من المسلمين فله الأمان، وقد تعهد لهم ملك الروم بعهود ومواثيق في دينه بأن توفى لهم جميع شروطهم [5] .

---

[1] – البيازين: هو حي من أحياء غرناطة، ينظر: عبد الحكيم الذنون، آفاق غرناطة، بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي، "ملحق" موجز تاريخ الأندلس العربي، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1988م، ص: 49.

[2] – بوشيخي أسماء، سقوط مملكة غرناطة (قراءة في معاهدة التسليم)، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر، سعيدة ، جامعة الطاهر مولاي، تخصص التاريخ السياسي والحضاري للأندلس ، السنة الجامعية: 1437 – 1438ه / 2016 – 2017م، ص: 31.

[3] – محمد عبد الله حتمالة، الأندلس التاريخ المحنة والحضارة، مطابع الدستور التجارية، الأردن، 2000 م ، ص: 560 .

[4] – جمال يحياوي، المرجع السابق، ص: 72 .

[5] – مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، تع: الفريد البستاني، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2002 م، ص: 41 .

**رابعا – اضطهاد النصارى لمسلمي غرناطة وبروز الثورات:**

**أ – محاكم التفتيش:**[1] كان لها أثر كبير على زوال والقضاء على المسلمين في غرناطة خاصة والأندلس عامة، والتي كانت من أكثر صفحات التاريخ سوادا لما سجلته من فضائح وجرائم ارتكبت بحق الإنسانية، من ذلك استعملت كل أنواع وطرق التعذيب وابتكار آلات لتعذيبهم.

ففي بادئ الأمر كان تعايش المسلم والاسباني زمنا طويلا، وكل واحد ملكا وسيّدا في أرضه، إلا أن انقلبت الأحوال في جانفي 897ه – 1492م، وهذا نتيجة دخول الملكان الكاثوليكيان إلى غرناطة فأصبح المسلم مهزوما في أي مكان يكون فيه الاسباني، وهنا تمثلت أساليب القهر بشدّة[2].

وفي مبرر إنشاء محاكم التفتيش ذكر المؤرخ الفرنسي (فيكتور دروي)، في تاريخه أنه كان في الجزيرة اختلاطا بين الأسبان والمسلمين، فأراد الملكين الكاثوليكيين توحيد الهيئة الدينية، وذلك بإنشاء ديوان التفتيش (محاكم التفتيش) والتعيين عليها اكبر المحققين والمفتشين[3].

حيث كان الزعيمان الكاثوليكيان يتخوفان من استمرارية الوجود العربي باسبانيا، وعودة هؤلاء إلى إنتفاضة من جديد،نصرا للانتصارات العظيمة التي شهدها تاريخ الأندلس عبر فترات متعاقبة من الزمن، وتخوف سياسة اسبانيا من العرب المسلمين المقيمين في الأندلس، والذين أطلق عليهم اسم "الموركسيين"[4]، وقد عمل هؤلاء "بمبدأ التقية" [5] مخفيين عن أنظار المسحيين في ممارسة عقيدتهم الإسلامية. ولذلك أمر الملكان الكاثوليكيان بجمع الكتب العربية، فيها علوم لا تقدر بثمن وتم حرقها في أكبر الساحات في

المدينة [6] .

---

[1] – محاكم التفتيش: أنشات في أوائل القرن الثالث عشر بقرار من البابا جريتوار وذلك عام 1233م، كان هدفها محاربة الهرطقة في كل أنحاء العالم المسيحي، وقد كلّف بهذه المهمة رجال الدين في مختلف المحافظات والأمصار، من ملاحقة المشبوهين، ينظر: محمد أحمد عطيات، الاندلس من السقوط الى محاكم التفتيش،ط1، دار الامواج، عمان، 2015م، ص: 153.

[2] – رامز إسماعيل طه الحلبي، عوامل سقوط الأندلس، (92ه – 711م / 897ه – 1492م )، المرجع السابق، ص: 195.

[3] – الأمير شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج3، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 1936م، ص: 221.

[4] – الموريسكيون: هم المسلمون الذين بقو في اسبانيا بعد ذهاب دولة الإسلام نهائيا من شبه الجزيرة الأيبيرية بسقوط غرناطة، أخر عاصمة لهم على يد إيزابيلا وفرناند، وخروج أبي عبد الله منها، أخر ملك عربي مسلم من أسرة بني الأحمر أو بني نصر، ينظر: محمد قشتيليو، الموركسيون في الأندلس وخارجها، المرجع السابق، ص: 19 .

[5] – مبدأ التقية: وهي تنصر المسلمين ظاهريا فقط، وعدوائهم للنصارى باطنية، وهي مداهنة المسلمون للنصارى بالتظاهر بالنصرانية وإخفاء الإسلام ، فكانت عقيدتهم التي يتمسكون بها هي الإسلام ولغتهم العربية، وقلبهم يؤمن بالله ورسوله وهذا مصداق قوله تعالى: " **إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانْ** " (النحل 106) ، ينظر: محمد قشتيليو، الموركسيون في الأندلس وخارجها، نفسه، ص: 39 -40 .

[6] – عبد الواحد ذنون طه، حركة المقاومة العربية الاسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ط1، دار المدار الاسلامي، بيروت – لبنان، 2004م، المرجع السابق، ص: 15 .

فقد كانت طبيعة محاكم التفتيش ذراعا للسلطة باسم الدين، ضربت القوة التابعة للحكومة وصادرت الأملاك والأراضي، وكانت تسجن كل من ينتقد السلطة، ووصل بهم الأمر إلى حد تقديمهم للتحقيق والتعذيب وعرضهم على السلطات المدنية لتقضي بإحراقهم ومصادرة أراضيهم وأموالهم [1] ، فكانت بين الترغيب والترهيب حيث كان من وحشية محاكم التفتيش أن المسلمين الذين تنصروا في العلن وأبطنوا الإسلام فتفشوا عنهم ثم قاموا بإحراقهم [2] .

فقد كان يشكل المسلمين في غرناطة بنسبة 20% على أنهم أوفر حضارة و أكثر مدنية ، في حين نظرت إليهم اسبانيا بما فيها الكنيسة أنهم كفار يجب تنصيرهم أو قتلهم أو نفيهم . فقد استدعى فيرناند الكردينال " خمينيث ذي ثيسنوروس " إلى غرناطة ، فجمع فقهاء وأعيان المدينة ، و أغدق عليهم ، ثم قام بإجراءات التنصير ، كما ذكرنا سابقا حوّلت المساجد إلى كنائس وحرقت كتب المسلمين واستثنى بذلك 300 كتاب في مجال الطب [3] ، حيث كان مسجد غرناطة الجامع الذي بناه بنو زيري من أكبر مساجدها وأهمها على الإطلاق [4] .

ومن جملة أنواع التعذيب في حق مسلمي غرناطة نجد من بينها ملء بطن الضحية بالماء حتى الإختناق، وربط يديه وراء ظهره، وكذلك وضع حبل فوق بطنه ورفعه وخفضه معلقا مع أثقال وسحق العظام بآلات ضاغطة، تمزيق الأرجل، فسح الفك، وهنا لا يتوقف التعذيب إلا عند رؤية الطبيب حالة الضحية في خطر، ويستأنف التعذيب، ومن آلات التعذيب نجد "الأسواط" المستعملة من الحديد الشائك لجلدهم وفصل اللحم عن العظم، وغلي قدور من الماء أو الزيت وصبها عليهم، وكانت تقام هذه الطرق في أبنية التعذيب كانت تدعى " دور الديوان المقدس " [5]، وبهذه الطريقة الوحشية التي لا تعبر على أي نوع من الإنسانية، التي بثت الخوف في نفوسهم بمجرد سماعهم بهذه الأماكن التعذيبية [6].

---

[1] – محمود السّيد، المرجع السابق، ص: 118.

[2] – أبو العباس أحمد السلاوي الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج4، المصدر السابق، ص: 107.

[3] – رامز إسماعيل طه الحلبي، المرجع السابق، ص: 197 .

[4] – مريم قاسم طويل ، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، 403 – 483 ه / 1016 – 1090 م، المرجع السابق، ص:305.

[5] – دور الديوان المقدس: هو المكان الذي تقام فيه كل أنواع التعذيب بشتى الطرق في حق المسلمين، وهي أبنية تعذيبية برزت مع ظهور محاكم التفتيش في غرناطة، غرناطة، ينظر: محمد علي قطب، مذابح وجرائم محاكم تفتيش في اسبانيا، ص: 78 .

[6] – علي محمد الصلابي، دولة الموحدين، المرجع السابق، ص: 257 .

فكانت نهاية محاكم التفتيش يدا بيد مع السلطات الاسبانية وكان من الطبيعي نهايتها بانهيار اسبانيا في بداية القرن التاسع عشر، بحيث لم تكن مملكة اسبانيا شاسعة في العالم الجديد و لم يكن لها مكانة في الدول الأوروبية، فكان همها الحفاظ على كيانها، باعتبارها كانت تلفظ أخر أنفاسها في فترة أصبحت السيادة فيها لفرنسا التي أدت دورين متناقضين فيما يتعلق بقشتالة، بالرغم من أنها كانت في البداية أكبر سند لها في حربها الطويلة ضدّ الأندلسيين [1] .

كما عملت هذه الأخيرة بالقضاء على اللغة العربية وقطع الصلة بين العربي وماضيهم، وهذا ما أدّى إلى إتلاف كتبهم العربية، واستعمالهم مختلف السياسات من العنف والإرهاب، من ذلك سياسة الإغراء بتوزيع عليهم ألبسة حريرية على المتنصرين و تقديم الامتيازات لهم [2] ، ومن بقي منهم المعروف باسم "الموريسكي"، لم يبق ساكتا بحيث قام بعدّة مجهودات من أجل استرجاع أراضيه، وهذا ما شهده تاريخ الأندلس من عدّة ثورات من ذلك الثورة الأندلسية الكبرى، وثورة البشرات [3] .

بعد سقوط آخر معقل من معاقل الأندلس، كانت حركة الاسترداد [4] ، والتمرد ضد السياسة التعسفية التي مارسها حكام اسبانيا، في حق المسلمين الذين فضلوا البقاء، والحفاظ على بلادهم وممتلكاتهم، وهنا قام بمواجهة النصارى، نذكر أهم الثورات التي قاموا بها منها.

---

[1] – عادل سعيد بشتاوي، الأندلسيون المواركة، القاهرة، إهداءات، 2001 ، ص: 239 – 240 .

[2] – محمد حسن العيدروس، العصر الأندلسي، خروج العرب من الأندلس، التطهير العرقي وجرائم الإبادة الجماعية ضد المسلمين في اسبانيا، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة،2011 ، ص: 65 – 72 .

[3] – سعيدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ط1 ، دار النهضة العربية، 1998 ، ص: 142 – 143 .

[4] – حركة الاسترداد: كان لانتشارها في أواخر ق 13 إلى مدينة طريف، ويرجع تاريخ حروب الاسترداد إلى السنوات الأولى من الفتح الإسلامي للأندلس، إذ أن الجيوش الاسبانية التي انهزمت أمام المسلمين ،كانت تقهقر نحو الشمال تاركة الجيوب للجيوش الإسلامية الفاتحة، مع العلم أنها كانت مجرد جماعة صغيرة، لم تقبل الخضوع لحكم المسلمين، بدأ تنظيمها السري بعيدا عن رقابة النظام وأصحابه، ثم أنظمت إليها أعداد أخرى، ينظر: حسن علي الشطشاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس، المرجع السابق، ص: 86 .

**ب – الثورات:**

ثورة البيازين في غرناطة عام 904 ه / 1499 م، فقد اختلفت الآراء حول هذه الثورة فمنهم من يرجعها إلى اعتداء أحد رجال الشرطة وخادم الأب "خمينيس" على فتاة مسلمة في حي البيازين في غرناطة، وهنا قام المسلمون بقتل هذا الأخير فكانت هذه العملية مخطط لها، واختار هذه الثورة أربعين رجل من بينهم ممثل الحكومة الموريسكية المستقلة عن الأسبان [1]. في حين أرجعها البعض إلى أنها كانت كرد فعل لما عاناه المسلمون من قسوة محاكم التفتيش وما عانته العقيدة الإسلامية في طمسها والخلاص منها، وإضافة إلى نقض المعاهدة، والاعتداء على الفتاة المسلمة [2] ، كما يرى البعض الآخر أنه في إحدى المرات حبست امرأة من البيازين فثار السكان وتحصنوا وحملوا السلاح، وكادوا يفتكون بالجند، والتصدي لممارسة "زمنير" [3] من التعسف الذي لحق بهم، ومال إلى العنف والإكراه وأساء معاملة المسلمين واضطهادهم بشتى الطرق وهذا ما دفع المسلمين إلى حمل السلاح في وجهه [4]، وبذلك بدأت شرارة الثورة تندلع من الأوساط الإسلامية، قرب قصر الحمراء، وهنا استنجد بمطران غرناطة " الأب كلافيرا" الذي كان يحترم المسلمين الموريسكيين، فهدأ من الثورة بأساليب خادعة وماكرة، وهنا تم إخماد الثورة في العام نفسه الذي بدأت فيه[5].

فلم يكن القضاء على ثورة البيازين انتهاء الانتفاضات الإسلامية بالأندلس ضد حركة التنصير التي مارسها الأسبان، بحيث أمر الكاردينال على الملكة أن توافق على الخطتين إما الجلاء أو النصرانية، وذلك بحجة أن المسلمين من سلالة النصارى في الأصل، حيث أغلقت المساجد وأحرقت الكتب، فبقيت شعلة المسلمين في جبال البشرات حمتهم من اضطهاد النصارى، فكانت جبال البشرات طيلة السنوات ملجأ الفارين من سياسة المراسيم التي تدعوا إلى التنصير القصري، أو التعذيب والنفي، فمنهم من اختاروا الموت في سبيل الله على التفريط في دينهم [6] .

---

[1] – خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، المرجع السابق، ص: 28.

[2] – نزار علي الطرشان مساجد حولت إلى كنائس، المرجع السابق، ص: 28 .

[3] – زمنير: هو الراهب فرانسيكيوديسيس نيروس، ولد عام 1436 م في تورى لاغونا وكان رئيسا للكهنة وكان مسؤول عن إجراءات وإصلاحات واسعة، وعيّن مشرفا روحيا للملكة إيزابيلا، فقد أسس جامعة الكلادي إنارس، ونشر الإنجيل بعدّة لغات، توفي عام 1517 م ، ينظر: محمد عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط1 ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997 م، ص: 235 .

[4] – عادل سعيد البشتاوي، المرجع السابق، ص: 114 .

[5] – نزار علي الطرشان، المرجع السابق، ص: 28 – 29 .

[6] – شكيب أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس، مطبعة المنار، مصر، 1925 ، ص: 351 .

فكانت ثورة البشرات [1] عام 906 ه / 1501 م، وجاءت على اثر نتائج ثورة الموريسكيين في محنة البيازين في غرناطة [2] ، فمنهم من لجأ إلى تلك الحصون وحاولوا مواجهة الإضطهاد المسيحي في الأندلس، فانظم الهاربون من غرناطة إلى عصابات المنفيين في البشرات حتى أصبح عددهم في أواخر عام 1499 م حوالي 1500 رجل واتخذوا مدينة " قولجر" [3] مركزا لهم، وبدؤوا يقومون بهجوماتهم على الحاميات النصرانية في مرج غرناطة، وكلّما حقق الثائرون نصرا أو أوقعوا بالحاميات الاسبانية هزيمة، شدّد ذلك من عزائم إخوانهم في غرناطة والمناطق الأخرى ودفع بهم إلى الانضمام للثائرين بغية الانتقام من الظالمين [4] .

فأرسلت الحكومة الاسبانية حملة عسكرية للقضاء على هذه الثورة التي قادها " الكونت تانديا " [5]، [5] ففي طريقها كانت تمر على القرى تجدها خاوية من الرجال، فكانت تحرقها بما فيها [6] .

لكنها لم تلق نجاح، وهذا راجع إلى حملة الأعمال التعسفية في المناطق التي مرّو بها، فاحرقوا القرى وقتلوا النساء والأطفال والشيوخ دون مراعاة لأيّة مبادئ والقيم الإنسانية [7] .

وقد التحق الملك الاسباني فرديناند بنفسه وبعض قواده إلى الحملة الاسبانية، وفي طريقهم احتلوا بعض القرى، مثل "وادي الكوين" ومدينة "لانجزون" و "لوشار" و" قونقة" و "أندرش"،إلاّ أنّها لقيت مقاومة عنيفة من طرف الموريسكيون الذين دافعوا عن مدنهم [8] .

ومن مدينة المرية خرجت حملة اسبانية أخرى اتجاه البشرات فأوقعت هذه الحملات خسائر كثيرة بالموريسكيين، وأخذت منهم اكبر عدد من الرهائن، وفي عام 1502م كانت الثورات قد أخمدت عموما [9] .

---

[1] – البشرات: تقع منطقة البشرات جنوب غرناطة، أمّا الثورة التي اندلعت بها كانت مشابهة للثورة في البيازين، وكانت نتيجة للظلم والقهر، مما حفز أهل البشرات على أن يهبوا بكل طاقتهم لنجدة أخوانهم في الثورة على سلطات الكنيسة في غرناطة، ينظر: نزار علي الطرشان، المرجع السابق، ص: 29 .

[2] – خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص: 307 .

[3] – قولجر: هو الحصن الواقع في سفح جبل الثلج، اتخذها المسلمون كقاعدة عسكرية لمواجهة الأسبان في معركة البشرات 1499م ينظر: أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسة، بيروت، 1908 م، ص: 195 .

[4] – نفسه، ص: 195 .

[5] – الكونت تانديا: هو قائد الحملة العسكرية الذي قام بالدور نفسه في ثورة البيازين وثورة البشرات، ينظر: خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص: 307 .

[6] – نفسة، ص: 307 .

[7] – نزار علي الطرشان، المرجع السابق، ص: 29 – 30 .

[8] – خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص: 307 .

[9] – نفسه، ص: 308.

ويذكر نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر الصراع القائم بين هؤلاء وملك الروم والمجهودات الجبارة التي قام بها المسلمون دفاعا عن أنفسهم ودينهم، فقتل رجالهم وسبي نسائهم ونصّرهم واستعبدهم في قوله: "إلاّ أن أناسا في غربية الأندلس امتنعوا من التنصّر وانحازوا إلى جبل منيع ووعر، فاجتمعوا فيه بعيالهم وأموالهم، وتحصنوا فيه، فجمع عليهم ملك الروم جموعه وطمع في الوصول إليهم، كما فعل بغيرهم، فلما دنّى منهم وأراد قتالهم، خيّب الله سعيه وردّه على عقبيه ونصرهم عليه، بعد أكثر من ثلاثة وعشرين معركة فقتلوا من جنده خلقا كثيرا من رجال وفرسان و جياد، فلما رأى انه لا يقدر عليهم طلب منهم أن يعطيهم الأمان بجوازهم إلى عدوة المغرب، فلم يصرح لهم بأخذ شيء ماعدا الثياب التي كانت عليهم..."[1].

نستنتج أن سقوط غرناطة لم يأتي عبثا، بل كان نتيجة عوامل وأسباب سواء أكانت سياسية واقتصادية، ونرجعها حتى لظروف اجتماعية المتمثلة بالخصوص في اختلاط المجتمع الأندلسي والطائفي، وتناوب الحكام على المنصب، وانشغالهم بالترف ومجالس اللهو، وابتعادهم عن الحياة السياسية إلى جانب ذلك تدخل النساء في نظام الحكم ومحاولة كل واحدة منهن التحكم في زمام الأمور ورئاسة ولي عهدها، ضف إلى ذلك الخطر الخارجي من طرف الأسبان، وعدم مدّ يد العون من طرف دول المغرب، لانشغالهم بظروفهم الداخلية، كما نرجعها إلى تلك المعاهدات والاتفاقيات التي كانت بين ملاك غرناطة والأسبان فكانت بدايتها التنازل على أهم حصونها، حتى لحق الأمر بقصر الحمراء، وكان الهدف من هذه المعاهدات بالدرجة الأولى يتمثل في تحقيق مصالح النصارى التي أردت في النهاية إلى نتائج كانت نقمة على مسلمي غرناطة خاصة والأندلس عامة.

[1] – مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص ص: 44 – 45.

# الفصل الثاني

## موقف دول المغرب الإسلامي من سقوط غرناطة.

### المبحث الأول: موقف الزيانيين.

**أولا – أصل الزيانيين.**

**ثانيا – علاقة يغمراسن مع بني الأحمر في غرناطة.**

**ثالثا – أسباب تخاذل الزيانيين عن مساندة الغرناطيين.**

### المبحث الثاني: موقف المرينيين.

**أولا – نسب المرينيين.**

**ثانيا – دور المرينيين في الأندلس.**

**ثالثا – أسباب تخاذل المرينيين عن نجدة أهل غرناطة.**

### المبحث الثالث: موقف الحفصيين.

**أولا – أصل الحفصيين.**

**ثانيا – مساندة الحفصيين لمملكة غرناطة.**

**ثالثا – عدم فعالية الحضور الحفصي في إنقاذ غرناطة.**

لقد ساهم الموقع الجغرافي للمغرب الإسلامي الذي يعتبر نافذة مطلة على الأندلس وخاصة غرناطة، بحيث كانت لها مواقف مشرفة اتجاه القضية الغرناطية، الذي كان يمد المنطقة بالإمدادات في شتى المجالات منذ سنين طويلة التي مرّت بها الجزيرة الأيبيرية، ومنذ أن وطأت أقدام المسلمين الفاتحين أراضي العدوة الشمالية، والمتمثلة في رسائل الاستغاثة التي بعثها الأندلسيون إلى ملوك وأمراء والمغرب، ومنذ ذلك الحين رفعت رايات الجهاد، ومساعدة إخوانهم، وهذا دليل على نخوتهم العربية في سبيل الحفاظ على مقوّمات الشخصية العربية، بحيث اختلفت المواقف من دولة لأخرى.

## المبحث الأول: موقف الدولة الزيانية.

### أولا – أصل الزيانيين:

تعود جذور العلاقة بين عبد الواد مؤسس الدولة الزيانية والأندلس إلى ما قبل استلام بني عبد الوادي تلمسان، وقيام الدولة الزيانية[1] ، فقد شاركت قبيلة بني الوادي مع الأمير يوسف بن تاشفين[2] في معركة الزلاقة [3] 479ه – 1086م، واشتركوا أيضا في معركة العقاب [4] سنة 609 ه – 1212م [5].

وبعد قيام الدولة الزيانية في تلمسان أخذت العلاقة تتوثق مع بني الأحمر في الأندلس، فقد استقبلت الدولة الكثير من المهاجرين الأندلسيين قصد الاستفادة من خبراتهم المختلفة في شتى الميادين، بحيث كان بني زيان في بداية أمرهم يعيشون حياة البداوة والبساطة وغير متعودين على عوائد الملك، ولهذا فان بني

---

[1] – الدولة الزيانية : تأسست سنة 633ه / 1235م، حيث قامت الدولة الزيانية في المغرب الأوسط، لاحتلالها موقع جغرافي بين الدولتين الحفصية والمرينية، فلم تكن حدود الدولة الزيانية منذ تأسيسها على يد يغمراسن مستقرة وثانية بل تتغير حسب استعداد يغمراسن بن زيان وقواته العسكرية وانسجام القبائل الموالية له، واتخذوا تلمسان عاصمة لها، ينظر: خالد بلعربي، تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية (55ه – 633ه / 675 – 1235م)، ط1، دار الألمعية، 2011م، ص – ص: 197 – 227 – 229.

[2] – يوسف بن تاشفين: هو إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف اللمتوني الحميري أمير المسلمين أبو إسحاق آخر ملوك دولة المرابطين، ويقال لهم اللمتون بمراكش، كان مع أبيه في بلاد الموحدين ضد عبد المؤمن بن علي في وهران بالقرب من تلمسان فبويع سنة 539ه، قام بعدة انجازات منها عبوره الأندلس أربع مرات، كما انه قضى على ملوك الطوائف في الأندلس، توفي سنة 541ه – 1147م، ينظر، خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموسي الأعجم، مجلد1، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م، ص: 24.

[3] – معركة الزلاقة: كانت هذه الموقعة في يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب بعد صلاة الصبح في سنة 479ه، في عهد يوسف بن تاشفين، كان النصر فيها للمسلمين، فسرّ بهم أهل الأندلس واظهروا التيمن بأمر المسلمين والتبرك به، وكثر الدعاء له في المساجد وعلى المنابر، ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 45.

[4] – معركة العقاب: كانت عام 609ه – 1212م، انتصر فيها الموحدون على مملكة قشتالة في معركة الأرك سة 591ه، وعقدت هدنة بين الطرفين لمدّة عشر سنوات، إلاّ أن ألفونسو الثامن ملك قشتالة بدأ بمهاجمة الأراضي الأندلسية قبل انتهاء مدة الهدنة، وقعت هذه المعركة في سهل حصن العقاب، وانهزم فيها الموحدون وقتل منهم خلق كثير، ينظر: عبد الواحد ذنون وآخرون، تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ص ص: 382 – 383 .

[5] – بومدين مختارية، موقف الفقهاء من هجرة مسلمي الأندلس قبيل سقوط غرناطة (890ه – 1492م)، إشراف: دلباز محمد، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، جامعة الدكتور طاهر مولاي، سعيدة، 2017م – 2018م، ص: 17.

زيان كانوا بحاجة ماسة إلى من يمدّهم بالخبرة والمهارة في تطوير شؤونهم ودولتهم لتضاهي الدول المجاورة لها في المشرق والمغرب [1] .

فقد شهدت الدولة الزيانية تنافسا وصراعا شديدا ودائم مع الدول المجاورة لها، الدولة المرينية في المغرب الأقصى والحفصية في تونس، وهذا في عهد مؤسس الدولة بن عبد الواد يغمراسن بن زيان حيث اصدر ظهيرا [2] ، يتضمن العناية بهؤلاء الأندلسيين وحقهم لاتخاذ المساكن وامتلاك الأراضي الفلاحية، مع العلم أن معظم المهاجرين إلى تلمسان كانوا من الأعلام وأهل البيوتات، ومن وجوه القوم واعيان الأندلس [3] .

ضف إلى ذلك هناك سبب آخر يتمثل في ميل سلاطين الدولة الزيانية للأندلسيين وتفضيلهم عن بقية عناصر المجتمع الزياني، بسبب طبيعة نشأة هؤلاء السلاطين، فنجد مثلا أن ولادة السلطان عثمان بن عبد الرحمان يغمراسن [4] بالأندلس بالتحديد في غرناطة، والأمر نفسه بالنسبة للسلطان أبي حمو موسى الثاني، وكلاهما ترعرع في بيئة أندلسية، واخذ ثقافتها وعاداتها، وهذه التنشئة كانت سببا في الاستفادة من الحياة السياسية والكفاءة البشرية في التطور والازدهار [5] .

كانت تلمسان مسرحا للتنافس على الحكم بين أفراد الأسرة الحاكمة من بنو زيان فتنافس أبو حمو الثالث وابن أخيه أبو زيان أحمد فإتجه الأول إلى إسبانيا مستنجدا بهم ليساعدوه في الوصول إلى الحكم مما أدّى إلى ذهاب أبو زيان أحمد إلى عروج لنجدته، وإنقاذ البلاد من التدخل الاسباني الذي اضّر بحياة السكان [6] .

---

[1] – عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، الموفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص: 17.

[2] – ظهيرا: وهو المعيّن المسمى مرسوم الخليفة او السلطان، ظهيرا لما يقع به من معاونة لمن كتب له، ينظر: أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، الصبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، المؤسسة المصرية العامة، ص: 309 .

[3] – عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، بيروت، 1981م، ص: 484 .

[4] – عثمان بن عبد الرحمان يغمراسن: هو عثمان بن عبد الرحمان بن يحي بن يغمراسن الدّايل بتلمسان، يكنى بأبا سعيد، كان شيخا مَخيلا باسمه الخير، متظاهرا بالنسف، متقدما في باب الدهاء والذكر، سكن غرناطة ووادي آش وولد بها (غرناطة)، ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مج4، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977م – 1397ه، ص: 51.

[5] – نفسه، ص: 52.

[6] – شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا ، تونس، الجزائر، المغرب)، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ، ط1، 1988م، ص: 85.

اندفع عروج نحو تلمسان وقطع عدّة مراحل لنجدة أبو زيان أحمد، فأخذ طريقه إلى تلمسان بين الهضاب الداخلية، لكي لا يصطدم بالأسبان من ناحية وهران، فيصدوه تلمسان، ويقطعوا عنه خط الرجعة، وعند وصوله إلى قلع بني راشد "هوارة"[1]، اتخذها مركزا لحماية مواصلاته، وترك فيها أخاه إسحاق على رأس فرقة من الجنود، كما أمرهم بالتضييق على الأسبان في وهران، وعرقلة أعمالهم وتحركاتهم العسكرية، وحتى لا يعرقلوا سيره نحو تلمسان [2] ، وعندما وصل عروج إلى تلمسان تدفق أهلها عليه ورحبوا به، فلما رأى سلطانها ذلك، أدرك أنه لا طاقة له للحرب ففر هاربا، ودخل عروج تلمسان بكل سهولة ومدّ السلطة لأبو زيان بدلا من عمه أبو حمو الثالث، وحاول عروج أن يوحد البلاد تحت إدارة مركزية قوية في مدينة الجزائر، واستعد لمواجهة الأسبان وتخليص البلاد من مضايقتهم، وبعد مرور الوقت لم يستقر الوضع بتلمسان إلا قليلا فعادت الاضطرابات والفتن، وشجعتها الأسبان من جهة والطامعون في العرش من جهة أخرى، وفي هذا الوقت ذهب عروج إلى المغرب، واخضع له بني يزناسن والوطاسيين في فآس وحثهم على التعاون ضد الأسبان [3] .

وعندما عاد عروج من المغرب إلى تلمسان قتل أبا زيان الذي سبق وأن نصبه عليها، بينما توجه أبو حمو الثالث إلى وهران واجتاز البحر إلى اسبانيا لمقابلة ملكها شارل متوسلا إليه يعينه على أهل تلمسان وعروج [4] . وهنا حث هذا الأخير بوجوب إرجاع أبو حمو إلى عرش تلمسان وإبعاد خطر التوسع التركي، ومنه أعد جيش كبير على رأس مجموعة من الأعراب ومعه فرقة من الجيش الاسباني، فداهموا قلعة بني راشد، حيث واجهوا إسحاق شقيق عروج، فكانت المواجهة عنيفة و لم يستسلم لهم إسحاق على الرغم من الحصار الذي فرض عليهم، حيث دام ستة أشهر، وبعد ذلك اضطّر الأسبان إلى ضرب القلعة بالمدافع فأحدثت فجوة فيها [5] .

---

[1] – هوارة أو قلعة بني راشد: هي قلعة صغيرة من ولاية وهران تبعد عن معسكر بنحو 25كلم، وعن مستغانم 55 كلم، وتعتبر من أغنى البلاد زراعيا، يعتمد عليها الأسبان في ذلك، ينظر: نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واستراده في مطلع العصر الحديث، مذكرة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، المملكة السعودية العربية، جامعة أم القرى، 1407 – 1987م، ص: 190.

[2] – أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص ص: 187 – 188.

[3] – محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط2، مكتبة دار الشروق، بيروت، 1979م، ص – ص: 62 – 67.

[4] – الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، ط1، الشركة المغربية للناشرين، الرباط، 1982م، ص: 9 .

[5] – أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص: 189 – 190.

وأراد الأسبان الدخول إليها ولكن منعهم بعض الغزاة وهنا اشترط إسحاق تسليم القلعة أن يخرج هو وكافة المسلمين بجميع أمتعتهم، وعند خروجهم تم نقض للمعاهدة، ودار قتال شديد بينهم وقتل إسحاق، فاستولى على القلعة أبو حمو ثم توجه هو ومن معه إلى تلمسان، وهنا خرج إليه عروج وجماعته وبدأ القتال الشديد حتى استشهد بالقرب من وجدة في جمادى الأولى 924 ه / 1518م [1] .

وقد أعاد الأسبان لأبا حمو الثالث ملكا على تلمسان، وهذا لشروط والتي تتمثل في دفع إتاوات حددت ب 12000 مثقال من الذهب و12 فرس و6 صقور إناثا، وظل ملتزما بذلك طوال حياته وعند ما آل الحكم إلى أخيه عبد الله بعد وفاته، امتنع عن أداء ما كان يدفعه أخوه "أبو حمو" للأسبان، وهذا ثقة منه في مساندة السلطان العثماني [2] .

وهنا يتضح صدى حروب الاسترداد المسيحية لدى المسلمين، فتجمع المجاهدون من مختلف أقطار العالم الإسلامي، وصمموا على استرداد المناطق المحتلة من طرف المسيحيين في الشمال الإفريقي وذلك تمهيدا لإرجاع الحكم الإسلامي إلى الأندلس، ويعود هذا إلى جهود الدولة العثمانية التي قدمت العون للمجاهدين، بل وشجعتهم بكل الوسائل لتحقيق أهدافهم على الرغم من مشاغلها في الجبهة الشرقية والأوروبية، والمتاعب التي كان يسببها الفرس وترقب الخطر البرتغالي القادم من الجنوب [3] .

إلاّ أن الحكومة الاسبانية تشجعت في الوقوف أمام الجبهة الإسلامية بقيادة خير الدين بربروس، كما رغّبت في القضاء على الدولة الإسلامية والروح الجهادية، والتي أخذت تهدد الإستراتيجية الاسبانية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، والشمال الإفريقي لتحقيق أهداف الدولة العثمانية [4] .

[1] – عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط4، ج3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص: 44.

[2] – الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المرجع السابق، ج2، ص: 10 .

[3] – نفسه، ص: 10.

[4] – نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واستردادها في مطلع القرن الحديث، المرجع السابق، ص: 192.

**ثانيا – علاقة يغمراسن مع بني الأحمر في غرناطة:**

كان بنو الأحمر الذين أسسوا مملكة غرناطة في جنوب الأندلس أكثر اهتماما مع الدولة العبدو الوادية ( الدولة الزيانية) ويرجع ذلك إلى خشيتهم من ازدياد النفوذ المريني إلى بلاد الأندلس، وبالتالي ضياع عرشهم وكيانهم، إذ أن الانتصارات التي حققها يعقوب بن عبد الحق [1] في الأندلس أقلقت كثيرا من بني الأحمر الذين خافوا من أطماع سلطان المغرب أن يغرّبهم عن بلادهم، وبالتالي عملوا على الاتصال ببني عبد الواد لمعرفتهم بالعداوة التقليدية بين الطرفين وجذور الصراع العميق، وتعدد المعارك بين يغمراسن [2] بن زيان وأبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، وأقاموا معهم علاقة مودة تتمثل في قيام بني الأحمر بإرسال الهدايا والأموال إلى بني عبد الواد حتى يشغل عنهم خطر بني مرين [3] .

لقد كانت مطالب بني الأحمر من بني عبد الواد تتمثل في ضرورة تعاون بني عبد الواد معهم، لضرب القوة المرينية بالمغرب،واتفق الطرفان على أن يقوم يغمراسن بن زيان بمهاجمة حدود الدولة المرينية الشرقية، حتى يصرف يعقوب بن عبد الحق المرور إلى الأندلس، ولما علم يعقوب بن عبد الحق بهذا الخبر أسرع إلى طلب الصلح من يغمراسن سنة 679 ه / 1281م، وفرض يغمراسن صلحه [4] .

فكانت إجابة يغمراسن على مطلب الصلح بقوله: "وليس له عندي ما عاشت إلى الحرب وكل ما وصله من صلح مع ابن الأحمر فهو حق..." [5] .

وبعد مرور شهرين ناشده الصلح مرّة ثانية فرفض، وأمام تشدد وتعنف يغمراسن، خرج يعقوب لقتاله في شهر ذي الحجة سنة 679 ه، والتقى الجمعان عند واد تافنة، فكان النصر حليف يعقوب بن عبد الحق وهزيمة يغمراسن [6] .

---

[1] – يعقوب بن عبد الحق: هو شخصية تاريخية بارزة في الأندلس،قام بعدّة انجازات وحقق انتصارات باهرة في الأندلس، فقد واصل سياسة أسلافه المرابطين والموحدين التي تقوم على حماية الأندلس من أطماع المسيحيين، فمن بين الانتصارات التي حققها نذكر انتصاره على ألفونسو العاشر في معركة الوادي الكبير سنة 674 ه / 1275م، ومعركة في اشبيلية أمام الجيش القشتالي في أواخر رجب في السنة نفسها، ينظر: ابن أبي زرع علي بن عبد الله الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة، 1972م، ص ص: 351 – 352 .

[2] – يغمراسن بن زيان: هو أبو يحي يغمراسن، يعتبر من اشد سلاطين بني زيان حرصا على علاقته بقبائل المغرب الأوسط واعرفهم بمصالح قومه وعشيرته، اعتمد في تأسيس دولته على قبيلة بني عبد الواد، وعلى بعض القبائل البربرية والعربية، تمكن من مدّ رقعة دولته بمساعدة القبائل المنضوية تحت نفوذه، والمتحالفة معه، حكم مابين 633 ه – 1236م / إلى 681 ه – 1283م، فقد كان الخليفة الرشيد الموحدي قد ضاعف الاتصال به، والإحسان إليه، فكانت المودّة بينهما، ينظر: عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 2002م، ص: 493 .

[3] – خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، المرجع السابق، ص: 167 .

[4] – نفسه، ص ص: 167 – 168.

[5] – ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص ص: 336 – 337 .

[6] – نفسه، ص: 337.

ويبدو أن العلاقة التي كانت قائمة بين يغمراسن وبني الأحمر، كان هدفها ضرب قوة بني مرين القوّة الوحيدة التي وقع عليها عبئ الجهاد في الأندلس لتلك الفترة من فترات تاريخ الإسلام في الأندلس، والعلاقة التي كانت بين يغمراسن وبني الأحمر تدل على عدم إدراك يغمراسن ، وفهمه وطبيعة الأحداث السياسية التي مرّت بها الأندلس، بحيث الاتفاق والتعاون الذي حصل بين يغمراسن وبني الأحمر، لم يكن حبا من يغمراسن في ملك غرناطة وتوسيع إمبراطوريته، وإنّما انتقاما من يعقوب بن عبد الحق الذي نقض الصلح الذي أبرم بينهما بهجومه على سجلماسة [1] التي كانت تحت حكم يغمراسن [2].

بحيث كانت العلاقة بين الزيانيين وبنو الأحمر ذات علاقة وطيدة، فقد استقبلت الدولة الزيانية عددا كبيرا من علماء غرناطة، وتولوا مهام التدريس في مساجد ومدارس تلمسان وغيرها من المدن الزيانية، وكانت هذه المدن مفتوحة أمام هجرة الأندلسيون أثناء محنة أهلها، وكان من بين ملوك غرناطة الذين قصدوها الزغل [3] .

وهنا توثقت العلاقة بين الطرفين بحيث قدّمت هذه الأخيرة (الدولة الزيانية)، يد المساعدة للمسلمين في الأندلس عند تعرض للمجاعة في سنة 763 ه / 1362م، قدمت لهم مقدار خمس آلاف من الزرع وثلاثة آلاف دينار من الذهب [4] .

فقد كانت الأحداث السياسية التي شهدتها غرناطة، فقد وصلت مسامعها إلى المغرب الأوسط الذي كان تحت الحكم الزياني، وذلك عن طريق استغاثة أهلها بالملوك الزيانيين وأهل الأندلس، فكانوا يلجؤون إلى الزيانيين مستنجدين بهم عندما تضيق عليهم السبل، فمن ذلك محاصرة الأسبان غرناطة، استرجى ملكها أبو عبد الله الصغير بأبي حمو موسى الثاني[5] بقصيدة للشيخ أبي البركات محمد بن أبي إبراهيم، كان مطلعها [6] :

---

[1] – سجلماسة: هي مدينة قديمة كانت واقعة في ناحية تافيلالت على بعد 310 كلم، في الجنوب الشرقي من مدينة فاس على تخوم الصحراء، وقد كانت محطة تجارية هامة في طريق واصل بين تلمسان والسودان، كما كانت موضوع نزاع بين المرينيين والزيانيين، وخربت هذه المدينة في القرن الثاني عشر هجري، الثامن عشر ميلادي، ينظر: محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تح: محمود بوعياد، منشورات ANEP، الجزائر، 1985م، ص: 296 .

[2] – خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، المرجع السابق، ص: 168 .

[3] – ليسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص ص: 51 – 52 .

[4] – عبد الرحمان يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الوادي، ج1، مطبعة غرناطة، الجزائر، 1930م، ص: 114 .

[5] – أبو حمو موسى الثاني، 1359م / 1389م، وهو محيي رسوم الدولة العبدو الوادية، بعد سيطرة مرينية دامت اثنتين وعشرين سنة، وهو السلطان الشاعر والسياسي المحنك الذي عرف كيف يجمع حوله قبيل بني عبد الواد من جديد، ويعيد سيطرته على القطر كلّه في مدّة وجيزة جدّا، ينظر: براهيمي نصر الدين، تلمسان الذاكرة، ط2، منشورات ثالة، الجزائر، 2010م، ص: 68 .

[6] – محمد درّاج، الدخول العثماني للجزائر ودور الإخوة بربروس، ط2، دار الأصالة، الجزائر، ص: 53 .

**هَلْ مِنْ مُسْتَجِيبِ دَعوةَ الْمُسْتَنْجِدِ أَمْ مِـــــنْ مُجِيرٍ للغَرِيبِ الْمُفْــرَدِ** [1] .

فلم يقتصر الشعر فقط على إغاثة أهل غرناطة في محنتهم، بل تعدّاه إلى النثر الذي كان له دور في تحرّك مشاعر الضمير العربي، فقد قام أبو حموا الزياني بإرسال الأحمال العديدة من ذهب وفضة وخيل وطعام، وبهذا المدد أمكن لأهل غرناطة أن يتثبتوا الدفاع عن مدينتهم فترة أطول [2] ، وهذا نتيجة الإعانات التي كانت تأتى عن طريق الدولة الزيانية أي (تلمسان حاليا) [3] .

وبرسالة من إنشاء الوزير ليسان الدين ابن الخطيب يذكر فيما أنّهم: "... لم يعانوا منذ أ، فتحت الأندلس شدّة وضيق أشدّ مما هم عليه الآن، وذكر ابن ملك الناصري جمع لهم جيوشا من سائر الأمم النصرانية، وأنهم قاموا بإحراق الزروع والمسلمون ليس لهم مغيث يلجأون إليه بعد الله سوى إخوانهم في الدين، وذكر بأنهم كانوا قد أعلموا المرينيين بهذا الخطر وأنهم يقومون بما يقدرون عليه من دعم ومساندة، وأنّهم لا يملكون غير أنفسهم، وقد بذلوها في سبيل الله، وهم ينتظرون نجدهم"[4] .

وكما كانت أوضاع الحفصيين والمرينيين ثم الوطاسيين لا تؤهلهم للدفاع عن بلادهم فضلا عن إنقاذ الأندلس، وكانت المملكة الزيانية تعيش نفس الظروف المتدهورة، ولذلك تعذّر على ملوكها تقديم أي دعم جدّي لغرناطة أو غيرها [5].

بحيث كانت الدولة الزيانية مقصد لأبو عبد الله محمد بن سعد الزغل الذي بذل جهدا كبيرا في سبيل إنقاذ عرش بني الأحمر، والحفاظ عليه من الزوال بمحاربته للأسبان، فقد توجه إلى مدينة وهران واستقر بها، ثم انتقل صحبة بعض أعيان غرناطة إلى مدينة تلمسان، بحيث استقبلهم سلطانها الرابع، استقبالا حارا وأكرم مقامهم، وهنا ظل الأمير الغرناطي يتحسّر عما أصابهم، وما أصاب المسلمين في غرناطة إلى أن أدركته الوفاة بتلمسان ودفن بها [6] .

---

[1] – محمد دراج، المرجع السابق، ص: 54 .

[2] – نفسه، ص: 54.

[3] – تلمسان: هي قاعدة المغرب الأوسط، وأم بلاد زناتة اختطها بنو يفرن وما يزعم بعض العامة من ساكنها أنها أزلية البناء، ينظر: عبد الرحمان بن خلدون، ديوان المبتدأ أو الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، دار الفكر، بيروت، 2000م، ص: 102.

[4] – أحمد محمد عطيات، الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، ص: 120.

[5] – نفسه، ص: 120 .

[6] – عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، المرجع السابق، ص ص: 74 – 75 .

وبعد وفاة محمد الرابع الزياني [1] وتولى ابنه محمد الخامس تقلصت نفوذ الدولة، فأصبح لا يقدّم ولا يؤخر[2] . بحيث أنه أي عمل يقوم به الزيانيون يكون إلا بمشورة الأسبان وفقا لمصالحهم، فانصاع لسلطنتهم وهيمنتهم، فجروه إلى السلم ومعاهدة مفروضة سنة 918 ه / 1512م، مقابل دفع ضريبة سنوية مقدارها اثنتي عشر ألف دوقية أي 12 ألف مثقال من الذهب، واثنتي عشرة فرسا من أحسن الخيول العربية وستة صقور من الإناث المدربة تدريبا جيدا على الصيد، فضلا عن تمويه الحامية الاسبانية المقيمة بوهران، بما تحتاج إليه من مؤن ومواد غذائية، وظلت هذه المعاهدة مفروضة على الدولة الزيانية في ظل حكم هذا الأخير(محمد الخامس) [3].

[1] – السلطان محمد الرابع الزياني: وكان سلطان على الدولة الزيانية في تلمسان في المغرب الأوسط، وكان يتولى زمام أمور هذه الدولة إلا أن توفي سنة 910 ه / 1505م، فخلفه ابنه محمد الخامس، ينظر: عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ص: 75.

[2] – نفسه، ص:75.

[3] – نفسه، ص: 76.

**ثالثا – أسباب تخاذل الزيانيين عن مساندة الغرناطيين:**

إن التهديد الاسباني كان حقيقة ملموسة وواقعا معاشا، بعد القضاء على دار الإسلام في الأندلس، وكسر المقاومة بها سنة 897 ه – 1492م، فنقلوا الحرب إلى دار السلام في المغرب الإسلامي، بحيث تعرض إلى حملات عسكرية من طرف النصارى [1]. والظاهر أن أعيان مدينة تلمسان ووجهاءها كانوا يتحسرون على هذه الوضعية التي آلت إليها دولتهم ومنطقتهم، خاصة دار الإسلام على وجه العموم في بلاد المغرب، فقرّروا القيام بمقاومة هذا الخطر المسيحي الكاسح، فأرسلوا القائد العثماني عروج [2].

وعلى الرغم من اجتماع التلمسانيين على توحيد كلمتهم حول العامل الزياني الجديد، فإن الاستقرار والأمن ظل مفقودا في تلمسان وغيرها من حواضر وبوادي المغرب الأوسط، فقد ظلت هذه الاضطرابات تهدد كيان الدولة الزيانية، وتدّق كل يوم مسمارا في نعشها بيد أبناءها المختلفين من الأسرة الحاكمة، فقد فرّ السلطان المخلوع أبو عبد الله محمد الى وهران مرتميا في أحضان الأسبان [3].

أما السواحل الغربية من مدينة مستغانم إلى مصب واد تافنة، فكان تحت سيطرة الأسبان، وبالتالي حرّمت الدولة الزيانية من التمتع بسيادتها على المناطق والأقاليم التابعة لها، ومن الموارد المالية التي تأتيها من الموانئ والمدن الساحلية، فدخلت في مرحلة الإنعاش، بحيث أخذت تلفظ أنفاسها شيئا فشيئا مع مرور الأيام [4] فضلا عن السنوات الماضية، كما ساعد على ضعفها وزوالها.

وظهور قوّة ثالثة في المنطقة وهي الدولة السعدية بقيادة الشريف المهدي سنة 915 ه – 964 ه / 1544م – 1557م، الذي يهدف هذا الأخير إلى المغرب الأوسط، الذي رأى فيها المجال الخصب للتوسع ولاسيما أن الأوضاع فيها مواتية بسبب التدخل الأجنبي فيها، فأراد أن يخلق من قوته بديلا للأتراك والأسبان في هذه المنطقة، ومن المغرب الأوسط نحو الشرق، فأرسل جيشا لهذا الغرض بقيادة ابنه الشريف محمد الخوراني إلى تلمسان فاحتلها سنة 957 ه – 1550م [5].

تفطن السلطان التركي حسن باشا لما كان يحدث في تلمسان من قبل السعديين ونواياهم في التوسع نحو الشرق، وهنا أرسل هذا الأخير جيشا بقيادة "حسن قُرصُوباي الأرباي" والمتصدي لهم، قرب وادي شلف، فهزموهم وأرغموهم على الفرار في اتجاه المغرب الأقصى، وبالتالي حررت تلمسان [6].

---

[1] - عبد العزيز الفيلاني، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ص: 77 .
[2] - نفسه، ص: 78.
[3] - نفسه، ص: 79.
[4] - نفسه، ص: 78.
[5] - نفسه، ص: 79.
[6] - السلاوي الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، المرجع السابق، ص: 12 .

ومنذ سقوط الأندلس الإسلامية، أصبحت شواطئ المغرب عامة وسواحل المغرب الأوسط ومدنها على وجه الخصوص، عرضة لتهديدات الجيوش الاسبانية، وهجوماتهم المتكررة، فنقلوا بذلك الحرب من أرض الأسبان إلى أرض المغرب الإسلامي، بسبب استقبال المغاربة للأندلسيون اللاجئين أو الفارين إليهم من سيوف الأسبان أو محاكم التفتيش[1] .

تطاحن دول المغرب فيما بينها من جهة وتسابق الأسرة الحاكمة إلى كرسي السلطة من جهة أخرى، وهذا ما ساعد في تصاعد الفتن وطلبوا المساعدة من الأسبان، ثم صاروا يتدخلون في شؤونهم الداخلية، فضعفت قوتهم حتى استطاع الأسبان الاستيلاء على المرسى الكبير 911 ه / 1506م[2].

بالإضافة إلى نظام بني عبد الوادي الذي لم مستقرا وهذا نتيجة عاملين أساسين، أولهما الصراع بين أفراد الأسرة الحاكمة، حيث كان كل أمير من بين أمرائها يرغب في تولى كرسي الحكم، فيؤدي به الأمر إلى قتل أبيه أو أخيه أو عمه، كما كان لرجال البلاط دورا بارزا في ذلك.

الصراع الذي عرفته الناحية بين القبائل الموالية للدولة والمعارضة لها، وقد بدا هذا الصراع منذ تقديم القبائل الهلالية من الواحات الصحراوية نحو التلال، وقيام الدول الثلاث على أنقاذها بنو مرين، بنو حفص، بنو عبد الوادي والذي كان من نتائجه ضعف المغرب الإسلامي، ويستعمل في زيادة مهمة نفوذ البرتغاليين والأسبان في السيطرة موانئها البحرية[3].

سوء الأوضاع الاجتماعية داخل المغرب الوسط، حيث انعدم الأمن وقلة وهبة الدولة، كما يتحدث عنها المغيلي "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" الذي تطرق فيه لأحوال المغرب الأوسط في عصره.

تعرض الدولة الزيانية للأخطار الخارجية والمتمثلة في الموحدين والحفصيين ثم المرينيين [4] .

---

[1] – عبد العزيز الفيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، المرجع السابق، ص: 75 .

[2] – المرسى الكبير: مع مطلع القرن السادس عشر سيطر الأسطول الاسباني على أهم الموانئ والمدن الداخلية، وذلك في مدّة لا تزيد عن ست سنوات، من ذلك المرسى الكبير بوهران سنة 1504م، وتنس والجزائر وغيرها، وبالتالي تم عزل المغرب عن البحر مع خضوع سواحله لهجوم الأسبان والجمهوريات الايطالية المستقلة، ينظر: براهامي نصر الدّين، تلمسان الذاكرة، المرجع السابق، ص: 94 .

[3] – أبو زيد عبد الرحمان الجامعي، تاريخ تحرير مدينة وهران من الاحتلال الاسباني خلال القرن الثامن عشر ميلادي، تح: مختار حساني، ج1، مخبر المخطوطات، الجزائر، 2002م، ص: 19 .

[4] – نفسه، ص ص: 20 – 21.

وعلى الرغم من صمود دولة بني عبد الواد حوالي 300 سنة، الذين استقروا بالمغرب الوسط واتخاذهم تلمسان حاضرة لهم، بحيث كانوا يعتمدون على التجوال في صحراء المغرب الأوسط مع أمراء قبائلهم الذين كانوا من البربر [1] .

[1] – سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة 20 – 798ه / 640 – 1492م، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2003م، ص: 339 .

**المبحث الثاني: موقف المرينيين.**

**أولا – نسب المرينيين:**

كانت المملكة المغربية في ذلك الوقت خاضعة للدولة المرينية [1] التي قامت على انقاذ الدولة الموحدية، وكان يحكمها آنذاك مؤسسها وأول سلطانها السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني، وكان معروفا بالزهد، الورع، التدّين، العلم،الرأفة والتواضع، وفي الوقت نفسه كان معروفا بالذكاء في الحرب والشدّة فيها، والقوة والصلابة والحنكة في قيادة المعارك، بحيث كان المسلمون الأندلوسيون كلّما اشتدّ بهم الأمر استنجدوا بملوك المغرب، ولاسيما ملوك بني مرين الذين ساروا على نهج المرابطين والموحدين، والذين كانوا ينهضون للداخل لحماية الأندلس، كلّما ضاق الأمر بأهلها [2].

**ثانيا – دور المرينيين في الأندلس:**

لقد قام السلطان المريني أبو يوسف منصور سنة 815 ه – 1287م، على سبيل المثال بالعبور إلى الأندلس أربع مرات لإغاثة أهلها، ووصلت جيوشهم إلى طليطلة وقرطبة، بل إلى مدريد وهي قريبة من آخر معقل وصل إليه الإسلام في الأندلس، فساهم بذلك في إنقاذ غرناطة من الانهيار السريع أمام ضربات ملوك قشتالة وأراغون [3].

وكذلك عندما استنجد ابن الاحمر بالسلطان المريني وطلب النصرة والدعم، فتحرّك و لم يتردد ابو يوسف يعقوب الى ان استجاب إليه وجمع الجيش ونشر نداء الجهاد في كافة ربوع المملكة، استعدادا للعبور لملاقاة الفونسو العاشر وجيشه في سبيل حماية الاسلام والمسلمين في غرناطة [4]. وهنا يتبيّن قوله تعالى في الآية الكريمة: **{اِصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}**[5].

---

[1] – الدولة المرينية: هم فخذ من قبيلة زناتة، ينتسبون إلى مرين بن ورتاجن بن خديج بن فاتن بن يادر بن يخفت بن عبد الله ورتانيض، بن المعز بن إبراهيم بن سحيك بن وايسن، وهم إخوة يلومي ومديونة، ينظر: إسماعيل بن الأحمر، روضة النسرين في روضة بني مرين، القصر الملكي، الرباط، 1962م، ص – ص: 8 – 10.

[2] – أحمد محمد عطّيات، الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، المرجع السابق، ص – ص: 112 – 114.

[3] – نفسه، ص: 112.

[4] – نفسه، ص: 114.

[5] – سورة آل عمران، الآية 200.

فقد تجلت العلاقة بين العدوتين من خلال القصائد الرثائية التي بعث بها بعض شعراء غرناطة إلى بلاد المغرب يستنجدون بها حكامها ويحثونهم على مساعدتهم في ردّ خطر النصارى الداهم ومن القصائد المشهورة، نذكر قصيدة محمد بن عبد الله العربي العقيلي وزير أبي عبد الله الصغير وكتبه التي وضعها على لسان مولاه، يعتذر فيها بملوك بني مرين[1] في المغرب عن النكبة التي حلّت بالأندلس [2] ، وما جاء في هذه الأبيات الشعرية:

**مَولَى مُلُــوكِ العــَرَبِ وَالعَجَــمِ رَعْيًا لِمــَا مِثْلِه يُرعَــى مِن الذممِ.**

**بِكَ استجَرنَا ونَعم الجَــار أنْــتَ لَمن جَار الزمَانُ عَلَيه جُورَ المنتقــمِ.**

**حتى غَدا مُلكَــه بالرغْــم مستلِبًا واقطع الحطَب ما يأتِي عَلى الرغــْمِ.**

**حكم من الله حَتمًــــــا لا مردّ له وهَلْ مَردًا لحُكــم مِنْــــه منْعتمِ.**

**لَوَصَلَ أَوَاصِر قَد كانَتْ لَنَا اشْتَبَكَت فَلِمُلكِ بَين ملوكِ الأَرْضِ كالرحِم [3].**

ومن بين أهم الرسائل التي وجهها ملوك غرناطة خطاب ونداء محمد الخامس الغني بالله سلطان غرناطة إلى المسلمين عامة وسكان المغرب خاصة، من اجل إنجاد الأندلس وغوثها من إنشاء ابن الخطيب، ويقول في هذه الرسالة: "أيّها الناس: رحمكم الله، إخوانكم المسلمون بالأندلس قد دهّم العدو، وزحفت أحزاب أحزاب الطواغيت عليهم، ومدّ الصليب ذراعه إليهم، وأيديكم بعزة الله أقوى وانتم المؤمنون أهل البر والتقوى، وهو دينكم فانصروه وجواركم القريب فلا تخفروه، وسبيل الرشد قد وَضَحَ فلْتُبصروه فالجهاد الجهاد...أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت، بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت..."[4].

[1] – بني مرين: هم الذين اسسوا دولة في المغرب الاقصى، سميت بالدولة المرينية او الوطاسية، ساهموا في عدّة معارك لمواجهة النصارى منها معركة الأرك، كانت مضاربها تمتدّ بين ملوية وسجلماسة، حتى الزاب، ينظر: عبد الواحد ذنون طه وآخرون، تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ص: 390 .

[2] – أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، ط1، المؤسسة العربية للدراسة، بيروت، 1980م، ص – ص: 320 – 312 .

[3] – أحمد المقري تلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: مصطفى السوقا، إبراهيم البياري، عبد الحفيظ الشلبي، مطبعة الجنة، القاهرة، ص: 72.

[4] – محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي افريقية، ط1، منشورات مؤسسة الرسالة، 1980م، ص ص: 499 – 500 .

ومن هذه الرسالة يتبين أهمية المغرب بالنسبة للأندلس والحاجة الماسة لغرناطة التي جعلتها تستغيث بأهل الإسلام، وما عانته من طمس معالم الدّين، ثم بينت سبب لجوئهم الى المغرب وأنه الحلقة المكملة التي عرف فيها الجهاد ونصرة الأندلس لسنين طويلة المنادية بالعقيدة الإسلامية، وإنشادهم بأواصر الأخوة والقلوب.

وقد سقطت الأندلس في وقت كان فيه المغرب الإسلامي يعاني من انحطاط رهيب على المستوى العسكري، وقد تمثل هذا الضعف في السياسة الداخلية للبلاد، ففي مطلع القرن العاشر هجري كان المغرب الإسلامي في ضعف وتدهور والانقسام من طرابلس إلى الغرب إلى رباط الفتح، فقد تداعى الحفصيون بتونس والزيانيون بتلمسان إلى التدهور، اما المغرب الأقصى فكان في نزاع عنيف فيما بين بني وطاس أنفسهم أو فيما بينهم وبين الأشراف السعديين[1].

والجدير بالذكر أن أهمية مساهمة المغاربة في حماية منطقة الأندلس كان ضعيفا، وهذا بعد سقوط دولة الموحدين، لم يتمكن ملوك المغرب من تحقيق ما حققه أسلافهم، فكانت مساعدتهم لذلك الثغر نسبية لا تفي بالغرض المطلوب رغم الجهود التي بذلها ينو مرين لحماية الأندلس، فإنّهم لم يتمكنوا من تحقيق الانتصارات الساحقة كتلك التي حققها أسلافهم المرابطين والموحدين، فإن بني مرين ساهموا بدورهم في حماية الأندلس قبل أن يدخلوا في دوامة الفوضى والاضطرابات والحروب الداخلية ضد منافسيهم من جهة وجيرانهم من جهة ثانية، بالإضافة إلى الأوضاع الاقتصادية المزرية التي كان يمرّ بها المغرب في هذه الفترة والتي حالت دون تمكن المرينيين من إنقاذ الأندلس، بل جعلتها عاجزة حتى على حماية سواحلها من الاحتلال الاسباني والبرتغالي [2] .

ويذكر ابن أبي زرع الفاسي مجهودات الدولة المرينية في الدفاع عن الأندلس فيقول: "أما بنو مرين فبهم أقام الله تعالى في المغرب الدّين، وبسيفهم قمع بجزيرة الأندلس المشركين وأبقى لها دماء المسلمين:

**هُـــــمْ نَصَرُوا دِيـــنَ الله واظهَـــرُوا عَلَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا مِن الحَقِ رَوْنَقًا.**

**بِمُلْكِهِمْ قَد أَحْمَـــــدُ الله للعَـــــدَا وَمنْ عَدْلِهِم ضَاء الزَمَان وَأَشْرَقَــا [3].**

---

[1] – نادية محمود مصطفى، العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية 64 – 932 ه / 1258 – 1517م، ط1، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ص ص: 78 – 79 .

[2] – محمد دراج، الدخول إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس، ط2، دار الأصالة، الجزائر، ص ص: 49 – 50 .

[3] – ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنّية في تاريخ الدولة المرينية، ص: 13 .

**ثالثا – أسباب تخاذل المرينيين عن نجدة أهل غرناطة:**

الظروف التي كانت تعيشها الدولة المرينية إبان سقوط غرناطة، وهذا لا ينفي موقفها وحيادها لغرناطة، بل كانت تعيش اضطرابات داخلية من ضعف الملوك وغيرها.

استعمار سواحلها من قبل القوى الاسبانية والبرتغالية، مما منعها من تقديم يد العون لهم، بعد استصراخ أهلها [1].

نظرة الأندلسيون إلى بني مرين نظرة سلبية واعتقادهم أنهم كان لهم موقف سلبي، وعدم نجدتهم وهذا ما يذكره صاحب كتاب "نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر" حيث يقول: "إن إخواننا المسلمون من أهل عدوة المغرب بعثنا إليهم، فلم يأتنا أحد منهم، ولا عرّج على نصرتنا وإغاثتنا وعدّونا قد بني علينا وسكن، وهو يزداد قوة ونحن نزداد ضعفا، والمدد يأتيه من بلاده ونحن لا مدد لنا، وهذا فصل الشتاء قد دخل ومحلّه عدّونا قد تفرقت وضعفت، وقد قطع عنّا الحرب، وان تكلمنا معه لأن قبل منّا وأعطانا كل ما نطلب منه، وان بقينا حتى يدخل فصل الربيع تجتمع عليه جيوشه مع ما يلحقنا نحن من الضعف والقلّة، فلن يعود يقبل منّا ما نطلبه منه، ولا نؤمن نحن على أنفاسنا من الغلية ولا على بلدنا منه، فإنه قد هرب لمحلته من بلدنا أناس كثيرون يدلونه على عوراتنا ويستعينوا بهم علينا [2].

وفي الحين اتفق رأي الجميع من الخاصة والعامة أن يبعثوا لملك الروم من يتكلم معه في أمرهم وأمر بلادهم، وقد زعم الكثير من الناس، أن أمير غرناطة ووزيره وقواده كان قد تقدم بينهم وبين ملك النصارى النازل عليهم الكلام، وكان نتيجة ذلك قطع الحرب عليهم في تلك الفترة، وتأمينهم على أنفسهم وبلادهم ونساءهم وصبيانهم ومواشيهم ومحارثهم...إلخ، ولا يرغمون إلاّ الزكاة والعشر لمن أراد الإقامة بغرناطة، ومن أراد الخروج منها يبيع أصله بما يرضاه من ثمن لمن يريده من مسلمين أو نصارى [3].

كما يتبيّن من هذا النص مفارقة كبيرة بين القوتين وضعف المسلمين في غرناطة وتشتت أمرهم، وتمكن عدّوها منها نظرا لعدم استطاعة المغرب رد هذا الخطر وانشغال حكامها بالأمور الداخلية.

---

[1] – الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة، دار البيضاء، 1986م، ص: 336 .

[2] – مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المصدر السابق، ص: 40 .

[3] – نفسه، ص: 41.

ضعف دولة بني مرين إذ تولى الحكم فيها سلاطين ضعفاء مما أدى إلى فقدانها المغرب الأدنى والأوسط وعادت إلى حدودها الأولى، ثم جاء الاحتلال البرتغالي، وسقطت في يده مدينة سبتة سنة 818 ه / 1415م، نذيرا بانهيار دولة بني مرين، وهكذا انقلب الوضع بالنسبة للمسلمين، وتحولت الحرب المقدسة من أرض الأندلس إلى أرض المغرب، إذ استولى البرتغاليون على جزء من ساحل المغرب [1].

ولقد بدأ ضعف غرناطة بموت السلطان يوسف ابن الاحمر سنة 1424م ،في حين كانت مملكة قشتالة تفشي نيران الفتن بين أواسط ملوك غرناطة، سعيا وراء مطامعهم ، وازداد ضعف المملكة باستيلاء المملكة على جبل طارق 1462 م، وهو معبر نجدة من طرف المغرب الاقصى (دولة بني مرين)[2].

[1] عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية الى نهاية الدولة العثمانية ،ط1، دار الأهلة، بيروت، 2011، ص: 328.

[2] – نفسه، ص: 328.

## المبحث الثالث: موقف الحفصيين.

### أولا – أصل الحفصيين:

ينحدر الحفصيون من نسل الشيخ أبي حفص عمر بن يحي الهنتاني الذي يعود نسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان من رجالات الدولة الموحدية وضمن الطبقة الأولى في نظام المهدي بن تومرت[1] .

ولما ازداد عبث بني غانية في منطقة افريقية منح الناصر الموحدي هذه المنطقة إلى أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص وذلك في عام 603 ه /1206م ، ويعتبر تعيين ابن أبي حفص هذا أول اقتطاع لأحد الولايات المغربية عن جسم الدولة الموحدية لكي تكون ا مارة حدودية تقف في وجه بني غانا وغيرهم من الطامعين [2].

فلقد كانت المنطقة الخاضعة للحفصيين في أواخر القرن الأخير من العصر الوسيط تدعى "افريقية" أي الأسرة المالكة في مدينة تونس مع الإمارات المستقلة أو الملحقة في كل من بجاية، قسنطينة، وطرابلس، وعند افتتاح العهد الحفصي كانت هذه المنطقة قد شهدت قبل ذلك أكثر من خمسة قرون من التاريخ الإسلامي[3].

كان والد عبد الواحد أبو حفص عمر بن يحي الهنتاني او "فصكة ومزال انتي" وهو الاسم البربري الحقيقي من أقدم أصحاب المهدي الموحدي ابن التومرت الحميمين، فمنذ سنة 514 ه / 1120م لا يزال شابا، التحق بأصحاب الإمام العشرة من بين أهل الجماعة والمقربين من المهدي [4].

---

[1] – المهدي بن تومرت: هو ابن عبد الله ابن تومرت المعروف عند بعض المؤرخين بالفقيه السوسيي الذي ينسب إلى قبيلة "هرغة" وهي من بطون المعاهدة ،أما مولده فقد اختلف المؤرخون في ولادته ومعرفة تاريخ ميلاده بالتحديد فمنهم من يقول أن تاريخ ولادته في 472ه / 1080م،ومنهم من قال 485ه وقال أحر مولده كان في 473ه، والأرجح في 473ه، فلم يقتصر ابن تومرت على العودة إلى الثورة الدينية فحسب بل اعتنى بتأليف رسائل الأصول والفقه منها "اعز ما يطلب ،موطأ الإمام المهدي "فلما بلغ من عمره 17 سنة شد الرحال في سنة 60ه قاصدا المشرق ،هدفه من الرحلة أداء فريضة الحج ،فقد انطلقت رحلته من الأندلس وطلب العلم في قرطبة ، ينظر : عبد المجيد النجار ،تجربة الإصلاح ، ط1،المعهد العلمي للفكر الإسلامي ،ص57 .

[2] – عبد الواحد ذنون طه، تاريخ المغرب العربي، المرجع السابق، ص ص: 395 – 396 .

[3] – روبار برانشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله: حمادي الساحلي، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1988م، ص ص: 29 – 30 .

[4] – نفسه، ص: 42.

فقد شهدت الدولة الحفصية في القرن الخامس عشر ميلادي نفوذا يماثل للتفوق الملاحظ خلال منتصف القرن الثالث عشر، فقد قام أبو فاس ابن السلطان أبي عباس الذي بدأت النهضة الحفصية على يديه، وهذا بمواصلة عمل والده في الداخل بالقضاء على الدويلات المحلية المستقلة التي كانت لا تزال قائمة آنذاك [1].

ومن جهة أخرى تحقيق التوسع الدائم في الخارج إلى ابعد حدود الغرب، وقد انتصر على آخر حملة نصرانية من حملات القرون الوسطى ضد افريقية، وأصبح مهابا من طرف الأوروبيين الذين يقضي قراصنته مضاجعهم، ومهابا أيضا من طرف المسلمين المعجبين بشدته وروعته وبهذه الصفة فهو جدير بان يعتبر من أعظم الملوك الذين عرفتهم بلاد المغرب في الماضي، وقد عرف حفيده عثمان خلال عهده الطويل كيف يحافظ على ذلك الصرح الشامخ الذي ورثه عن جدّه [2] وهي دولة بني حفص [3] .

وبعد بضع سنوات من وفاة عثمان شهدت الدولة الحفصية بداية فترة ثانية من الانحطاط الذي لا رجعة فيه، وهي فترة خارجة عن موضوع هذا البحث، بحيث ظهرت قراصنة الأتراك من ناحية والأسبان من ناحية أخرى في مقدمة الساحة السياسية التي سيسيطرون عليها خلال القرن السادس عشر، وقبل وفاة آخر سلطانها سنة 1526م، سمح للأسبان لاحتلال جزء من مملكته، مما جعل احتلال كل من بجاية وطرابلس 1510م، وهنا كانت الدولة الحفصية تحت الوصاية الاسبانية حتى سنة 1574م، وهو تاريخ انتصار الأتراك في آخر الأمر وأصبحت الدولة الحفصية تابعة لها [4].

[1] – روبار برانشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، المرجع السابق، ص: 309 .

[2] – نفسه، ص: 310.

[3] – بني حفص: يعود أصلهم إلى الشيخ أبي حفص عمر بن يحي الهمتاني، واقتطعت الجزء الشرقي من المغرب الأوسط، وأسسوا دولتهم التي هي الدولة الحفصية عاصمتها بجاية، ينظر: بومدين مختارية، موقف الفقهاء من هجرة مسلمي الأندلس قبيل سقوط غرناطة 890 ه / 1492م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، سعيدة، جامعة الدكتور مولاي، تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، سنة 2017 – 2018م، ص: 6 .

[4] – روبار برانشفيك، المرجع السابق، ص: 310 .

**ثانيا – مساندة الحفصيين لمملكة غرناطة:**

كانت سياسة المملكة الحفصية في تونس تسير نحو انحطاط مستمر، كان السلطان الحفصي الحسن بن محمد بن الحسن، قد أساء السيرة في البلاد، وقتل عددا من إخوته، فاضطربت الأحوال في تونس وخرج البعض عن طاعة السلطان الحفصي، وكان اخو الحسن المسمى بالأمير الرشيد قد هرب من أخيه خوفا من القتل، ولجأ عند العرب في البادية.

وقد كانت تونس بحكم علاقتها الطيبّة مع الأندلس من المحطات الجغرافية التي استقبلت رسائل الاستغاثة لمساعدة الأندلسيين، إثر الهجمات الصليبية المتلاحقة على مدنها، وقد ذكر ابن خلدون مستعرضا هذه الحادثة، بقوله: "...لما ظهر أمر بني أبي حفص بافريقية، أمر ابن مردنيش وأهل شرق الأندلس، الأمير أبا زكريا للكرة وبعثوا إليه بيعتهم، وأوفد عليه ابن مردنيش، كاتبه الفقيه أبا عبد الله بن الآبار صريخا، فوفد وادى بيعتهم في يوم مشهود بالحضرة وانشد في ذلك قصيدة"[1] . كان فيها:

**أدْرِكْ بخَيلك خَيــل الله أنْدَلُسًـــا إنض السَبِيلَ إلى مُنَاجَــاتهضا دَرْسَــا.**

**وَهَبْ لها من عزيزِ النَصر مَا اِلتَمَستْ فَلمْ يَزلْ مِنك عِزُّ النَصْرِ ملتمسَــا.**

**عَـــاش مِمَا تعانيـــــه خشَشْتُهَا فَطَالَمَا ضَاقَتْ البَلْوى صَبَاح مَسَــا.**

**يَا للجَزِيرَة أَضْحَـــى أَهْلــهَا جُزُرًا للنَائِبَات وأَمسَى جدّها تَعَسَــا.**

**فِـــي كُلِ شَــارِقَةٍ إلَمــامُ بَائِقَــة يَعُودُ مَاتمـــها عِنْدَ العـــدَا [2].**

فقد ذكر ابن خلدون في نهاية هذه القصيدة موقف الأمير من هذا الاستصراخ فقال: "...فأجاب الأمير أبو زكريا داعيتهم، وبعث إليهم أسطوله مشحونا بمادة الطعام والأسحلة والمال، مع أبي يحي بن يحي بن الشهيد بن إسحاق ابن أبي حفص، وكانت قيمة ذلك مائة ألف دينار وجاءهم الأسطول بالمدد وهم في هذا الحصار، فنزل بمرسى دانية واستفرغ المدد بها، وفي هذا الحين كان الحصار شديد على أهل بلنسية، وعدمت المؤن، وكثر الهلاك من الجوع [3] .

[1] – ابن خلدون، ج6، المصدر السابق، ص: 385.

[2] – نفسه، ص: 386.

[3] – نفسه، ص: 388.

وكما كان أهل الأندلس يستغيثون بملوك المغرب، فكانوا يلجؤون إلى ملوك بني حفص، خصوصا عند لا يجيدون للملوك المغرب آذان صاغية، فمن ذلك انه عندما سقطت بلنسية أرسل أهلها إلى أبي زكريا الحفصي، يستمدون منه النجدة والمدد، وجعلوا على رأس بعثتهم شاعرهم ابن الآبار القضاعي، كما ذكرنا سابقا في الأبيات الشعرية [1].

و لم تكن بلنسية وحدها هي التي بويعت أبا زكريا الحفصي، وطلبت منه المدد، بل قد بايعه كذلك أهل اشبيلية، إذ أن موقف أبي زكريا الحفصي من استنجاد أهل الأندلس لم يكن يتناسب مع خطورة الوضع، وكذلك لأنه لم يكن يملك القوة الكافية التي تمكنه من إنقاذ الأندلس التي كانت ظروفها تقتضي اقتحام الحفصيين للأندلس، والقضاء على رؤوس الفتنة من ملوك الطوائف، وهو ما لم يكن بمقدور الحفصي، وكذلك اكتفى بإرسال أسطول مشحون بالطعام والسلاح والمال، ولكن هذا المدد لم يصل إلى المحصورين في بلنسية، كما أرسل بمدد آخر أثناء حصار اشبيلية لكن المدد استولى عليه العدو، كما استولى على اشبيلية فيما بعد [2].

أثناء حصار غرناطة أو بعد سقوطها لم يستغث أهل الأندلس ببني حفص، ولعل ذلك راجع إلى أن الدولة الحفصية كانت تعيش آخر أيامها، و لم يكن بمقدور أمراءها أن يقدموا أي جهد جدّي لدعم مسلمي الأندلس خصوصا أن سواحل تونس نفسها لم تنجو من الاحتلال الاسباني، بالإضافة إلى ذلك أن الجيش الحفصي الذي كان ذات يوم أفضل جيوش شمال إفريقيا فقد تحلل وأصبح عاجزا عن مقاومة أي عدو، بل فقد سيطرته حتى على الأعراب الذين كانوا يعيشون فسادا في البوادي، وأطراف المدن، الأمر الذي جعل الملوك الحفصيون يستعينون بالمرتزقة من الجنود الايطاليين والأسبان والزنوج وغيرهم [3].

تأثر بني حفص في افريقية في عهد أبو زكريا بالحضارة الأندلسية، إذ فتح لهم هذا الأخير أبواب مدنه للمهاجرين من أهل الأندلس، بحيث بلغ تأثير الحضارة الأندلسية مثواه حتى في عهد أبي عبد الله المستنصر خليفة أبي زكريا، حيث كان بلاطه يعج ويزخر بأهل الأندلس [4].

---

[1] – أحمد محمد عطيات، الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، المرجع السابق، ص: 118.

[2] – نفسه، ص: 119.

[3] – نفسه، ص: 119.

[4] – سعيدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة 20 – 798 ه / 640 – 1492م، المرجع السابق، ص: 342 .

**ثالثا – عدم فعالية الحضور الحفصي في إنقاذ غرناطة:**

عدم قيام الحفصيين بالشيء الجديد في العالم الإسلامي بالنسبة لشروط العامة للإصدار والتداول مثل النقود، فكانت هذه الأخير تحتكر صنع النقود،لان ضربها كان حرا كما كان تداول النقود الأجنبية حرة، إذ قررت الحكومة في بعض الحالات الاستثنائية التخفيض من قيمتها عندما تشعر، بـــأن بعض النقود فاسدة تتعرض العملة الوطنية واقتصاد البلاد للخطر[1].

ان الجيش الحفصي منبثق عن الجيش الموحدي بدون انقطاع، فلم يكن في الأصل سوى فرع منفصل عن فروعه، وأول ما ترتب نظامه ترتيبا لا يعرف شيئا عن تفاصيله، وقد كانت نواة هذا الجيش حتى آخر القرن الرابع عشر متكونة من أفراد القبائل الموحدي المستقرين بافريقية، فقد الحق الحفصيين جنودهم بالموحدين، ويعود هذا إلى العدد القليل في صفوف الحفصيين، الذي لم يسمح بتحويل جيش منظم [2] ، (وهذا السبب الذي جعلها غير قادرة على امتلاك جيش نظامي مؤهل لحماية نفسها وغيرها).

اقتصار الفرسان والمشاة الحفصيين على أشياء بسيطة كالسلاح واللباس الدفاعي لهم، حسب الشهادات المسيحية من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر، فقد أشار "ريمون لول" في بداية القرن الرابع عشر إلى قلة التجهيزات الجنود المسلمين، ويطبق هذا على الجنود الحفصيين وهذه الرواية الاسبانية المؤرخة في 1573م حول المقاتلين التونسيين في ذلك العهد : "ليس لهم بدلات ودروع، فعندما يلاحقهم العدو يلقون بأمتعتهم ويفرون حفاة عراة"، إلى أن بعض الجنود كانوا يحمون صدورهم وأكتافهم بقطع من الجلد [3].

ففي بداية القرن الثالث عشر، والنصف الأول من القرن الرابع عشر شهدت الدولة الحفصية تقلص في عدد جنودها بسبب الانقسامات والحركات الاسترداد التي أضعفت السلطة المركزية، حيث أصبح الجيش لا يعد سوى اقل من عشرة آلاف فارس، حسب ابن الفضل من احد المخبرين الإفريقيين [4].

[1] – روبار برانشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى 15م، نقله: حمادي الساحلي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص: 73 .
[2] – نفسه، ص: 75.
[3] – نفسه، ص: 83.
[4] – نفسه، ص: 90.

وهذه الملاحظة التي أبداها ابن خلدون حول الشمال الإفريقي بأسره، حيث قال: "إننا أدركنا دولا قليلة العساكر، لا تنتهي في مجال الحرب إلى التنافس، بل أكثر الجيوش من الطائفتين معا يجمعهم لدينا حلة او مدينة، ويعرف كل واحد منهم قرينه وينادية في حومة الحرب باسمه ولقبه" [1].

تحكم النصارى في سفن الحفصيين، فكانت المواصلات بين الأقطار الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط وبين موانئ افريقية ومملكة غرناطة والإسكندرية تقع أساسا بواسطة النصارى،وقد أصبح من يسافر بين التجار أو الحجاج المسلمون يذهبون على متن السفن النصرانية، وهنا يتجلى النقص في الأسطول التجاري الحفصي من حيث الكم، وهذا راجع إلى المعاهدات التي كانت تبرم نع الدول الأوروبية في تسخير تلك السفن لكل دولة راسية في موانئهم مقابل أجرة مناسبة، مثال ذلك تخلص البندقية من هذا الالتزام وذلك بتقديم حوالي ثلاثة دبلون ذهب، لكل سفينة مقابل أن تكون ملكها [2] .

فالأسطول الذي يمثل قوة أي دولة بالدرجة الأولى و سيف ذو حدين يتمثل في التجارة والحرب، وبالتالي ضعف أسطولها في المجال التجاري الذي يخدم الدول الأوروبية، وفق معاهدة مقابل مال معين، مما تولد عنه خسارة عدد كبير من أسطولها.

عدم تحكم الدولة الحفصية في دويلاتها وهذا من اكبر المخاطر وعلامة من علامات التفكك، مما أدى إلى عدم تحمل هذه الأخيرة من الاستقلال المتزايد لأغلب مدنها والتي تتمثل في انفصال عدّة مناطق منها، قسنطينة، طرابلس، وبسكرة [3].

ومنه نستنتج أن كل من الدول الزيانية والحفصية والمرينية والتي تتمثل في دول الغرب الإسلامي، كان لها موقف اتجاه القضية الغرناطية في النجاد إخوانهم مسلمي الأندلس، ولكن هذا العزم على مد يد العون لهم لم ينجح بالأحرى، وهذا راجع لعدة صعوبات وعراقيل التي كانت تعاني منها كل دولة وقوة الدول النصرانية والهجومات الاسبانية على سواحل الغرب الإسلامي، وهذا يتمثل في الخطر الداخلي والخارجي الذي كان يهدد كل دولة من هذه الدويلات، ولكن هذا لا يفني جهودها في مساندة إخوانهم ولو بجزء صغير.

[1] – ابن خلدون، مقدمة، ج2، المصدر السابق، ص: 78.
[2] – روبار برانشفيك، ج2، المرجع السابق، ص: 97 .
[3] – نفسه، ص: 105.

# الفصل الثالث

## موقف دول المشرق الإسلامي من سقوط غرناطة.

### المبحث الاول: موقف الدولة العثمانية.

**أولا – نشأة واصل الدولة العثمانية.**

**ثانيا – استنجاد الغرناطيين بالدولة العثمانية.**

**ثالثا – موقف سلاطين الدولة العثمانية.**

**رابعا – الموقف العثماني في الجزائر.**

**خامسا – تقييم للدور العثماني في اهتمامه بالقضية الغرناطية.**

### المبحث الثاني: موقف المماليك بمصر.

**أولا – الموقع الجغرافي لمصر ومكانتها.**

**ثانيا – علاقة مصر المملوكية بغرناطة قبل سقوطها.**

**ثالثا – موقف سلاطين مصر من سقوط غرناطة.**

لقد كان كذلك لدولة المشرق الإسلامي دور في مساندة إخوانهم المسلمين في الأندلس عامة وغرناطة خاصة، فقامت باستنجادها واحتضان مهاجريها وتقديم المساعدة لهم حتى ولو كانت صغيرة.

**المبحث الأول: موقف الدولة العثمانية.**

**أولا – نشأة وأصل الدولة العثمانية:**

بحسب التقسيم التاريخي الذي يضعه اغلب المؤرخين عند تحقيق تاريخ الدولة العثمانية، فان عهد النشأة والنمو ينطلق بين 1300 – 1402م، وفيه شهدت الدولة العثمانية التوسع والنمو، سواء في آسيا أو أوروبا، وتمتد حتى غزو تيمولنك [1] لها وضعفها بشكل مؤقت، كانت نشأتها كإمارة في البداية من إمارة الغزو في الشمال الغربي لآسيا الصغرى، ورغم اختلاف الروايات بين المؤرخين حول نشأة هذه الدولة [2].

وينتسب العثمانيون إلى قبيلة تركمانية كانت عند بداية القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي تعيش في كردستان، وتزاول حرفة الرعي، ونتيجة للغزو المغولي بقيادة جنكيز خان على العراق ومناطق شرق آسيا الصغرى، فان سليمان جد عثمان هاجر في عام 617 ه / 1220م، مع قبيلته من كورديستان [3].

إلى بلاد الأناضول فاستقر في مدينة أخلاط، وبعد وفاته خلفه في عام 628 ه / 1230م ابنه الأوسط أرطغل، الذي واصل تحركه نحو الشمال الغربي من الأناضول [4].

---

[1] – تيمورلنك : أوتمور كوجان أو كوكان له عدّة تسميات، له صلة قرابة مع ذرية جنكيز خان من ناحية الأم وليس من العصب،ولد في قرية خواجة ايلغار، من أعمال كش وهي من مدن ماوراء النهر في شهر افريل 1336 م / 736 ه، لم يحمل لقب خان لعدم انتسابه إلى عائلة جنكيز خان من ناحية الأب، وحمل لقب أمير أوكوكان التي تعني بلغة المغول الحسن الصهر، لزواجه من بنات الملوك، وهو مؤسس مملكة المغول الثانية، كان مسلما إلا انه لم يطبق تعاليم الإسلام في دولته، أصبح تيمورلنك أميرا على قبائل المغول وسلطانا عليهم، واكتفى بلقب الأمير حتى عام 1388م، حمل تيمورلنك ألقابا كثيرة منها السلطان العادل والخاقان...إلخ، ينظر: منصور عبد الحكيم، تيمورلنك إمبراطور على فهوة جواد سفاك الدماء وهادم الحضارات، موقع النشر، القاهرة، ص ص – ص: 53 – 54 – 119 .

[2] – مفدي زيدي، موسوعة التاريخ الإسلامية، العصر العثماني، دار أسامة للنشر، الأردن، 2009م، ص: 13 .

[3] – عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط2، دار الأهلة للنشر، عمان، 2011م، ص: 391.

[4] – نفسه، ص: 391.

في حين يذكر مفدي الزيدي في موسوعته العصر العثماني أن العثمانيين هم من أصل قبيلة تركمانية، هاجرت من جنوب بلاد ما وراء النهر تحت ضغط توسع جنكيز خان، ونزلت عند المجرى الأعلى لنهر الفرات بين أرزنجان وخلاط على بحيرة وءان شرقي آسيا الصغرى في عام 1224م، وعلى رأس هذه القبائل سليمان والد أرطغل، وحاولت هذه القبائل العودة إلى وطنها الأصلي بعد ما علّمت بوفاة جنكيز خان [1].

كما أن البعض الآخر يرجعها الى العوامل الاقتصادية، فيروا ان الجذب الشديد وكثرة النسل، جعلت هذه القبائل تضيق ذرعا بمواطنها الأصلية، وبالتالي هاجرت للبحث عن الكلأ والمراعي والعيش الرغيد، والبعض الآخر يرجعها إلى أسباب سياسية، حيث تعرضت تلك القبائل لضغوطات كبيرة من طرف قبائل أخرى أكثر عددا وعدّة وقوة، وهي القبائل المغولية، التي أجبرتها على الرحيل وترك موطنها الأصلي [2].

وقد استوطنت عشائر الغزو وقبائلها الكبرى منطقة ما وراء النهر، والتي تمتد من هضبة منغوليا وشمال الصين شرقا إلى بحر الخزر[3] غربا، ومن السهول السيبيرية شمالا إلى شبه القرة الهندية وفارس جنوبا، وقد عرّفوا بالترك أو الأتراك، وكانت لهم حضارة بدائية منتقلة قائمة على التنظيم القبلي والعادات والأعراف الاجتماعية من غير تنظيم حكومي أساسي، وقوانين خاصة بالمجتمعات الأكثر تقدما [4].

كانت منطقة الأناظول منقسمة لعدّة إمارات أغلبها ضعيف ومتطرف، ومتحارب مع الجيران وحالها أشبه بحال دول الطوائف في الأندلس، بحيث قامت الدولة العثمانية بتوحيد هذه الإمارات المتفرقة ابتداء من قيام الدولة العثمانية سنة 699 ه [5].

---

[1] – مفيد زبيري، المرجع السابق، ص: 13 .

[2] – عيسى الحسن، المرجع السابق، ص: 379.

[3] – بحر الخزر: وهو بحر القزوين، ينظر: عيسى الحسن، نفسه، ص: 179 .

[4] – زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار المسيرة، 2010م، ص: 15.

[5] – ميمونة حمزة المنصور، تاريخ الدولة العثمانية، دار حامد، عمان، 2007م، ص: 9.

ويعد عثمان [1] في الواقع المؤسس الأول للدولة العثمانية سنة 1289م – 1326م، ففي عهده انتهى موقف التبعية السياسية والحربية للسلاجقة، بعد أن قضى المغول على دولة السلاجقة [2] الروم في "قونية" سنة 1300م، ولم يسع هؤلاء نفوذهم نحو شمال غرب آسيا الصغرى، حيث سلطنة بني عمان، وأصبح عثمان من ثم السلطان الحقيقي لهذه المنطقة [3].

فقد حرص عثمان على استعمال العدل مع رعيته وفي البلاد التي فتحها، فلم يعامل القوم المغلوبين بالظلم أو الجور، وعند وفاته ترك لابنه أورخان وصية وهو على فراش الموت، وكانت تلك الوصية لها دلالة حضارية ومنهجية شرعية، سارت عليها الدولة العثمانية فيما بعد [4].

كان المجتمع العثماني يلتفت دائما حول حكامه الشرعيين، ويلبي دعوة الجهاد فكان من مفاهيم العثمانيين أنه : "من نصرة الحاكم ألاّ يهان، ومن معادته أن يحترم، وأن يكرّم، فقوامته على الأمة وقيادته لها لإعلاء كلمة الله، تستوجب تبجيله وإجلاله وإكرامه تبجيلا وإكراما لشرع الله الذي ينافح ويدافع عنه..." [5].

وإنما عاملهم بهذا الدستور الرباني لقوله تعالى: **"أَمَّا مَنْ ظَلَّمَ فَسَوفَ نُعَذِّبُهُ، ثُّمَ يُرَّدُ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعِمَلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءَ الحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَه مِنْ أَمْرِنَا يُسْرَا "** [6].

والعمل بهذا الدستور يدل على فطنته وذكاءه وعدله.

---

[1] – عثمان، تنتسب إليه الدولة العثمانية، قد ولد لأرطغل في عام 656 ه / 1258م، وهي السنة التي غزا فيها المغول بقيادة هولاكو بغداد عاصمة الخلافة العثمانية، كان قائد عسكري، ورجل سياسي، يتحلى بالحكمة، فبعد ما تولى رئاسة قومه، وقف مع السلطان علاء الدين ضد البزنطيين، ينظر: عيسى الحسن، المرجع السابق، ص ص: 392 – 393 .

[2] – دولة السلاجقة: لقد اتسعت الدولة السلجوقية في عهد السلطان ملك شاه لتبلغ أقصى امتداد لها من أفغنستان شرقا إلى آسيا الصغرى غربا، وبلاد الشام جنوبا، وذلك بعد سقوط دمشق، وبوفاته سنة 447 – 485 ه / 1055 – 1092م، انتهى دور القوّة والمجد الذي عرفته الدولة السلجوقية في عهد السلاطين الثلاثة، طغرل بك، ألب أرسلان وملك شاه، لتبدأ مرحلة الضعف والصراع، ينظر: عيسى الحسن، المرجع السابق، ص: 385 – 386 .

[3] – مفيد زيدي، المرجع السابق، ص: 14.

[4] – عيسى حسن، المرجع السابق، ص: 395.

[5] – عيسى حسن، المرجع السابق، ص: 398.

[6] – سورة الكهف: الآية (87-88).

**ثانيا – استنجاد الغرناطيين بالدولة العثمانية :**

لقد صاحب سقوط غرناطة سنة 1492م ظهور قوة إسلامية عظيمة في الشرق، ألا وهي الدولة العثمانية، فقد كان فتح القسطنطينية سنة 857 ه – 1453م، أي قبل سقوط غرناطة بأربعين سنة إيذانا بدخول دولة إسلامية جديدة إلى الميدان الدولي في مصاف العالمية الكبرى، حيث توسعت الفتوحات الإسلامية في جنوب وشرق أوروبا متزامنة تماما مع انحصار المد الإسلامي في غرب القارة "الأندلس"، وقد تطورت الدولة العثمانية تطورا سريعا، وأصبحت تتزعم قضايا العالم الإسلامي من أهمها القضية التي أثارت انتباه الدولة العثمانية هي قضية الأندلس، وما أسفرت عنه من مآسي دامية وأحداث مؤلمة كان العثمانيين[1] مواقف مشرفة اتجاهها من خلال استقبال رسائل الاستغاثة التي كانت توجه للسلاطين العثمانيين في ذلك الوقت [2].

ومن أهم المواقف الرائدة للدولة العثمانية اتجاه القضية الأندلسية، أنها حالت دون استمرار اسبانيا النصرانية للسواحل الإفريقية، إذ حافظت على عروبته وإسلامه، وإنقاذ المسلمين الفارين إلى ذلك الإقليم الذي يتمثل في شمال إفريقيا، وحماية هذا الأخير من أخطار الغزو الصليبي الاستعماري الأوروبي، الذي يتمثل في البرتغال واسبانيا والمنطقة الصليبية المعروفة باسم فرسان القديس يُوحَنَا [3] .

كما حاولت دول النصارى أن تعمل على منع توسع الدولة العثمانية وباشروا في شنّ هجومهم عليها، وهنا عمل العثمانيون بدورهم على إزالة كل العوائق التي تمنع من نشر كلمة الله، فقد عملت على حماية شعوب المسلمين من هجمات النصارى الغاشمة، فكانت سببا على إبقاء الشمال الإفريقي على دينه وإسلامه، إضافة إلى حماية الأراضي المقدسة من البرتغاليين، ومن دخل تحت لوائهم من النصارى [4] .

---

[1] – العثمانيين: أصلهم من التراكمة الرحالة النزالة (وهم طائفة من التتار) وأول من تولى منهم السلطنة في بلاد الروم، ونسبوا إليهم السلطان عثمان رحمه الله ابن أرطغل ابن سليمان شاه، ويتصل نسبه إلى يافث ابن نوح عليه السلام، ينظر: محمود مقديس، نزهة النظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري، محمد محفوظ، ج2، ط1، دار المغرب الإسلامي، 1988م، ص: 5 .

[2] – عبد اللطيف بن محمد الحميدي، موقف الدولة العثمانية اتجاه مأساة المسلمين في الأندلس، ط1، الرياض، 1993م، ص: 49 .

[3] – إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، ط2، مكتبة العبيكان، 1998م، ص: 237 .

[4] – عيسى الحسن، المرجع السابق، ص: 400.

**ثالثا – موقف سلاطين الدولة العثمانية.**

**1 – موقف السلطان محمد الفاتح:**

أرسل أهل غرناطة في منتصف سنة 1477م، أي قبل سقوط غرناطة بأربعة عشر عاما صفارة إلى استنبون وجهوا فيها نظر فيها السلطان محمد الفاتح [1] إلى تدهور أوضاع المسلمين في الأندلس، ونشدوا التدخل لإنقاذهم، لكن كان في حكم المستحيل أن يستجيب السلطان الفاتح لهذه الاستغاثة، لأنه كان هو الأخير مضطرا إلى مواجهة تحالف صليبي ضم البابا سكسة الرابع وجنوة ونابولي والمجر وترانسلفانيا، وفرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس، وعدد من الزعماء الألبان الذين كانوا يضمرون العداء الشديد للدولة العثمانية .

وبعد أن قطع السلطان محمد الفاتح أشواطا مثمرة في الإصلاح الداخلي، تطلع إلى المناطق المسيحية في أوروبا لفتحها ونشر الإسلام في أوروبا[2].

[1] – محمد الفاتح: هو السلطان محمد الثاني (431 ه – 1481م)، ويعتبر السلطان العثماني السابع في سلسلة آل عثمان، يلقب بالفاتح وأبي الخيرات، حكم ما يقارب منه ثلاثين عاما كانت خيرا وعزة للمسلمين، تولى حكم الدولة العثمانية بعد وفاة والده في 16 محرم عام 855 ه / 18 فيفري عام 1451م، وكان عمره 22 سنة، امتاز بشخصية فذّة جمعت بين القوّة والعدل، اهتم بدراسة كتب التاريخ، ساهم في استقرار الدولة، ينظر: عيسى الحسن، المرجع السابق، ص: 425 .

[2] – أحمد محمد عطيات، الأندلس من سقوط إلى محاكم التفتيش، المرجع السابق، ص: 122.

## 2 – موقف السلطان بيازيد:

لقد كانت أخبار الأندلس قد وصلت إلى المشرق، فارتج لها العالم الإسلامي وبعث الملك الأشرف بوفد إلى البابا وملوك النصرانية يذكرهم بأن النصارى الذين هم تحت حمايته يتمتعون بالحرية، في حين أن أبناء دينه في المدن الأسبانية يعانون اشد أنواع الظلم، وقد هدّد بإتباع سياسة التنكيل والقصاص اتجاه الرعايا المسيحيين، إذ لم يكف ملك قشتالة وأراغون عن هذا الاعتداء وترحيل المسلمين عن أراضيهم، وعدم التعرض لهم، ورد ما أخذ من أراضيهم، وهنا لم يستجب البابا والملكان الكاثوليكيان لهذا التهديد من قبل ملك الأشرف، ومضو في خطتهم لتصفية الوجود الإسلامي في الأندلس [1] .

ومن المواقف الهامة للدولة العثمانية اتجاه القضية الأندلسية، ما قام به السلطان بيازيد الذي عرف بالتقوى والتدّين، فإنه قد ردّ على هذا الاستنجاد بإرسال أسطول عثماني تجول في الشواطئ الأسبانية، وقد أعطى قيادته إلى كمال رايس، الذي أصبح بعدئذ مصدر الرعب الذي كانت تشعر به الأساطيل العثمانية في أواخر القرن الخامس عشر ميلادي، وكان رد فعل السلطان بيازيد الثاني على قيامه بمساعدة هؤلاء المستضعفين من مسلمي غرناطة، إنما كان يترجم عن شعور صادق بالقيام بواجب ديني تفرضه رابطة الأخوة في الدّين والتضامن الإسلامي [2].

وقد جددت رسائل الاستنجاد لدى السلطان العثماني بيازيد الثاني [3] ، لإنقاذ الموقف هناك ومع ذلك قام السلطان بيازيد بتقديم المساعدة والتهادن مع السلطان المملوكي الأشرف لتوحيد الجهود من أجل مساعدة غرناطة، ووقع اتفاق يرسل بموجبه السلطان بيازيد أسطولا إلى سواحل صقلية، باعتبارها تابعة لمملكة اسبانيا، وان يجهز السلطان المملوكي حملات أخرى من ناحية إفريقيا، وبالفعل أرسل السلطان بيازيد أسطولا عثمانيا، تحول إلى الشواطئ الاسبانية، وقد أعطى قيادته إلى كمال رايس الذي أدخل الفزع والخوف والرعب في الأساطيل النصرانية في أواخر القرن الخامس عشر، كما شجع هذا الأخير المجاهدين في البحر بإبداء اهتمامه وعطفه عليهم [4] .

---

[1] – عيسى الحسن، المرجع السابق، ص: 478.

[2] – فتحي زغروت، سقوط غرناطة، المرجع السابق، ص: 153 .

[3] – بيازيد الثاني: كان في 1480م – 1512م عرف بشخصيته الضعيفة والمترددة، كان مسالما وحذرا، يميل إلى العلم والتصوف، لمنه كان قادرا على ضرب خصومه عند اللزوم، وجد نفسه في حرب مع المماليك في بلاد الشام بسبب النزاع حول الدويلات المتاخمة لها واستمرت هذه النزاعات من 1485 – 1491م، وهذا لم يكن لصالح الدولة العثمانية ، ولكنه أعاد الأمور إلى مجاريها، ينظر: مفيد الزيدي، العصر العثماني، المرجع السابق، ص: 23 .

[4] – عيسى حسين، المرجع السابق، ص: 478.

وكان المجاهدون العثمانيون قد بدأوا في التحرك لنجدة إخوانهم المسلمين، وفي الوقت نفسه، كانوا يغنمون الكثير من الغنائم سهلة الحصول من النصارى، كذلك وصل عدد كبير من هؤلاء المجاهدين المسلمين أثناء تشييد الأسطول العثماني ودخلوا في خدمته، بعد ذلك أخذ العثمانيون يستخدمون قوّتهم البحرية الجديدة في غرب البحر الأبيض المتوسط، بتشجيع من هؤلاء المجاهدين وهذا الذي كان في وسع السلطان بيازيد الثاني فعله [1] .

لكن رغم الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الدولة العثمانية، فان السلطان بيازيد لما استغاثه أهل الأندلس، فحاول أن يقدّم لهم ما يستطيعه من أوجه الدعم والمساندة، فأرسل إلى البابا كما ذكرنا سابقا رسولا يعلمه أنه سوف يعامل النصارى في استنبول بنفس المعاملة، إذ أصّر ملك قشتالة على الاستمرار في محاصرة المسلمين في غرناطة، فأرسل هذا الأخير بقيادة كمال رايس أسطولا بحريا على الشواطئ الاسبانية سنة 1486م، فقام هذا الأخير بإحراق وتخريب السواحل الاسبانية والايطالية ومالطا، ونقل أولى قوافل المهاجرين المسلمين واليهود إلى تركيا [2].

وهذا نفس العمل الذي قام به الأخوان بربروس وقيامهم بحرق السواحل الأوروبية ليس حبا بالقتل والتدمير ولا التأثر بسيمة العصر الذي يمكن تسميته بعصر القتل والتدمير، وإنّما هو الرد على الممارسات التي ارتكبتها تلك الدول الأوروبية من احتلال الأراضي وقتل الأبرياء وارتكاب المجازر والأعمال اللا إنسانية[3] .

وهكذا بسبب المشاكل الداخلية والخارجية التي كانت تعيشها الدولة العثمانية، فلم يتمكن العثمانيون في عصر بيازيد، وقيل في عصر الفاتح من إغاثة مسلمي الأندلس، كما أن التهديدات والغارات التي شنها كمال رايس على السواحل الاسبانية، لم تثن الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا عن قرار إنهاء الوجود الإسلامي من اسبانيا النصرانية، وبهذه المواقف التي رأيناها يتضح أن سقوط غرناطة وضياعها، ارتبط بعدد من الأسباب التي كان يمر بها العالم الإسلامي، وضياع غرناطة كان نتيجة متوقعة وحتمية للظروف التي مرت بها الأمة [4].

---

[1] – عيسى الحسن، المرجع السابق، ص: 479.

[2] – أحمد محمد عطيات، الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، المرجع السابق، ص: 123.

[3] – عزيز سامح الترك، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م، ص: 6 .

[4] – أحمد محمد عطيات، الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، المرجع السابق، ص ص: 123 – 124.

ومن بين الرسائل التي بعثت إلى سلاطين الدولة العثمانية من قبل الأندلسيين، تشكوا فيها عن ظروفهم والاستنجاد بهم، نجدها على شكل قصائد شعرية نذكر منها:

**سَلاَمَ عَلَيكُم مِـــن عَبيدٍ تخَلّفُوا بأندَلُسِ الغَربِ فِي أَرْض الغُربَـــة.**

**أَحَاط بِهِمْ بحر مِن الـــرُومِ زَاخِرِ وَبحـــــر عَميقٍ ذُو ظـــلاَم وَلجّةُ.**

**سَلام عَليكُم مِن عَبيـــر أصَابَهُم مُصاب عَظِيم يَا لهـــا من مصِيبَةٌ.**

**سَلام عَليكُم من شُيـــوخ تَمزقَت شُيوهم بالنَتْفِ مِـــــن بعد عزّة.**

**سَلام عَليكُم مِن وجوه تكشفت عَلى جمْلة الإعلاَج مِن بَعْد سِترةٌ.**

**سَلام عَليكُم مِنْ بنَـــات عَواتق سيوفهم الصِرَاط قَهْـــــرا لخلوة[1].**

وقد وجدت هذه القصيدة في شكل رسالة إلى السلطان العثماني بعد انتفاضة البشرات 1501م، وقد جمعت هذه القصيدة كل مظاهر القهر والتعذيب والطمس، فهي تؤكد مشهد مأساة الموريسكية من مختلف الجوانب الإنسانية والحضارية والثقافية [2] .

ومن بين رسائل الاستغاثة التي وصلت إلى الدولة العثمانية من طرف الأندلسيون عندما أعلنت اسبانيا في 995 ه – 1567م، قرارات جديدة ضد المسلمين منها، منع استعمال اللغة العربية أو التسمي بأسماء عربية وتحريم الألبسة الإسلامية العربية، ومنع حجاب المرأة فهنا كتب مسلموا الأندلس إلى العثمانيون، بما اقترفه الأسبان ضدّهم من قرارات جائرة وحاجة المسلمين للسلاح في سبيل الجهاد، فأجاب العثمانيون في رسالة موجهة إليهم: "لقد أرسلتم إلى سعادتنا عرض حالكم وكيف أن الكفار الظالمين ذوي الشعارات المظللة يتآمرون على المسلمين، ويمنعونهم من التخاطب باللغة العربية، ويكلّفون زوجاتهم بما يخالف الشرع الحنيف [3] .

رغم قسوة النصارى على مسلمي غرناطة في الأندلس، كانت الدولة العثمانية تحتضن اليهود الأسبان، كونهم كانوا يعيشون فترة من القهر وعدم الاستقرار اثر محاكم التفتيش، خصوصا في فترة حكم الملكين الكاثوليكيين منذ عام 1492م، فكان حق اليهود ممارسة كامل شعائرهم بكل حريّة، عكس المسلمين في غرناطة [4] .

---

[1] – جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث، 1500 – 1830م، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987م، ص: 37.

[2] – حنفي هلايلي، التاريخ الأندلسي الموريسكي، دار المهدي، الجزائر، 2010م، ص: 141 .

[3] – عبد اللطيف محمد الحميد، موقف الدولة العثمانية اتجاه مأساة المسلمين في الأندلس، المرجع السابق، ص: 101.

[4] – أحمد نوري النعيمي، الدولة العثمانية واليهود، ط1، دار العربية للموسوعات، 2006، ص ص: 23 – 24 .

**رابعا – الموقف العثماني في الجزائر من القضية الغرناطية:**

بعد إلحاق الجزائر بالإيالة العثمانية وانتشار صدى القضية الأندلسية في كامل ربوع العالم الإسلامي، أصبحت الجزائر وصّية في سبيل حماية اللاجئين الأندلسيين الفارين إليها، أو مد يد العون للمستغيثين منها [1].

وعند دخول الجزائر في الدولة العثمانية كانت لهذه المنطقة دور بطولي في مساندة إخوانهم الأندلسيون، التي تتمثل في ثوراتهم التي ثاروا بها ضد الأسبان، وخير دليل على ذلك ما قام به الأخوان عروج [2] وخير الدين [3] من الجهاد البحري في إنقاذ أهل الأندلس الفارين بأهلهم وعقيدتهم إلى بلاد المغرب الوسط، وكذلك منهم صالح رايس الذي كانت سياسته تقوم على تحقيق عدّة أهداف منها:

– إبعاد الأسبان نهائيا عن أراضي الجزائر.

– إعلان الجهاد والسير برا وبحرا، على رأس الجيوش الإسلامية إلى بلاد الأندلس، في حين لم يكن صالح رايس يهتم قبل كل شيء إلاّ بمحاربة الأسبان وهدفه جمع القوى الإسلامية من أجل تطهير البلاد من التواجد المسيحي [4].

إضافة ذلك وجود شخصيات بارزة في تاريخ الجزائر، قدّمت يد العون لإخوانهم الأندلسيون، التي كان لها صدى بالغ في النضال وطرد المسلمين من بلاد المغرب، وهم حسن بن خير الدين الذي أعيد إلى الجزائر عام 964 ه – 1557م، بحيث قام بتعيين "بريحي رايس" وهذا الأخير قام بتخريب الساحل الاسباني، من قرطاجنة حتى رأس "سانت فشت" وسار تحت قيادته في باديس عدّة سفن، وتلقب بحق سيّد "جبل طارق"، وهنا دعا سفنه للنهوض بنشاط يستهدف تخريب السواحل الأندلس [5].

وهنا رفع تجار اشبيلية شكوى للملك الأسباني يخبرونه فيها بما خلفه باديس ضد السفن الأسبانية، على طريق الملاحة والتجارة الهندية، وهنا عمّ الخوف في ساحل السكان الاسباني [6].

---

[1] – فتحي زغروت، سقوط الأندلس، المرجع السابق، ص: 155 .

[2] – عروج: وهو عروج ابن يعقوب كان احد جند السپاهية لدى السلطان العثماني محمد الفاتح، ينظر: زينب مصطفى دوشي، البحار العثماني عروج ودوره الجهادي في غرب البحر الأبيض المتوسط 1474 – 1518م، المجلة العلمية لكلّية التربية، قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، مجلد1، العدد11 ، سبتمبر 2018م، ص: 300 .

[3] – خير الدين بربروس: هو الذي اشتهر في كتب الإفرنج باسم "بارب روس" أي ذو اللحية الصهباء، أصله من "اروام منفليلي" إحدى جزر الروم كان هو وأخوه يمارسان القرصنة في بحر الروم، ثم أسلم وذهلا في خدمة محمد الحفصي سلطان تونس، وكانوا يقومون باعتراض السفن المسيحية التجارية والاستيلاء عليها، ينظر: محمد الطاهر سحرى، مختصر تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ط1، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، 2008م، ص: 166 .

[4] – عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط2، دار الأهلية، بيروت، 2011م، ص – ص: 531 – 539.

[5] – عيسى الحسن، المرجع السابق، ص: 539.

[6] – علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص: 415 .

أما عن مساعدة الجزائريين في الثورات الأندلسية التي أعلنوها مسلمي الأندلس الرافضة لمبدأ التنصير، فخير دليل على المواقف المشرفة من طرف الجزائر اتجاه القضية الأندلسية، بحيث وصلت رسائل الإستغاثة من مسلمي غرناطة إلى "علج علي" حاكم الجزائر، وهنا استجاب هذا الأخير في 1568م – 1571م، وقام بتدعيم الموريسكيين وحاول إنقاذ غرناطة، وذلك من خلال تقديمه لهم أربعين سفينة وصلت إلى شواطئ المرية، وتذهب بعض المصادر إلى أن "علج علي" كان يريد الذهاب بنفسه ليتولى قيادة الجيش بالأندلس، لكنه بقي لظروف طارئة، وفي شهر أكتوبر 1569م نجحت البحرية الجزائرية من إيصال 400 بندقية إلى أراضي الأندلس، وكمية من الذخائر، وكان الأسطول يحمل أعضاء من الجيش الانكشاري[1].

لامتلاكهم الخبرة التي تمد يد العون للموريسكيين [2].

ويقال أن جيشه كان عظيما قوامه أربعة عشر رجلا من رماة البنادق، وستون ألف آخرون استعدّوا للهجوم على وهران ثم نزلوا في بلاد الأندلس [3].

بالإضافة إلى موقع الجزائر بين صقلية والمدخل الغربي للبحر المتوسط، جعلته مكان مراقبة الطرق المتجهة مباشرة إلى جبل طارق اتجاه غربي البحر المتوسط وإلى جنوب اسبانيا في اتجاه جنوب ايطاليا، مما جعل العثمانيون يتخذّون من ميناء الجزائر الحربي الذي يمتاز بموقعه، قاعدة محضة وملجأ لأسطولهم، وصار ميناء الجزائر منذ 926 ه – 1529م عاصمة كبرى للمغرب الأوسط ولكل شمال إفريقيا العثمانية [4] .

فقد كانت الجزائر في ظل حكم الدولة العثمانية ونظرا لأهميتها السياسية والعسكرية تعيش حالة من الأمن والاستقرار على غرار دول الغرب الإسلامي الأخرى، وهذا ما جعلها محطة أنظار الأندلسيين باعتبارها القوة الإسلامية الوحيدة التي تستطيع أن تتحمل هذه المسؤولية في إنجاد إخوانها الغرناطيين [5].

---

[1] – الجيش الانكشاري: يطلق عليه الدفشرمة وتعني أطفال المسيحيين الذين يعتنقون الإسلام ويلتحقون بالجيش، وأصبحوا يعرفون بالبني شيري، أي النظام الجديد، وكانوا هؤلاء يختلفون من بينهم ذوي البنية القوية ويتدربون بعد سن العاشرة، وجاء هذا الجيش في عهد السلطان مراد نجدية فقحه في المناطق المسيحية، ينظر: ميمونة حمزة المنصور، تاريخ الدولة العثمانية،المرجع السابق، ص: 67 .

[2] – حنفي هلايلي، بنية الجيش الانكشاري الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007م، ص ص: 113 – 114 .

[3] – فتحي زغروت، العثمانيون ومحاولات إنقاذ مسلمي الأندلس منذ سقوط غرناطة حتى الخروج النهائي، ط1، الأندلس الجديدة، 2010م، ص: 240

[4] – نبيل عبد الحي رضوان، المرجع السابق، ص: 207.

[5] – نفسه، ص: 207.

**خامسا – تقييم للدور العثماني في اهتمامه بالقضية الغرناطية:**

محاولة مماليك النصارى منع توسع الدولة العثمانية، وباشروا في شن هجومهم عليها، كانت وسيلة الجهاد كالصخرة العظيمة التي تتحطم عليها محاولاتهم المتكررة، وقد عمل العثمانيون على إزالة كل العوائق التي تمنع الناس من سماع دعوة الله تعالى، بحيث جاهدت الدولة العثمانية من اجل إبقاء الإسلام فيها مثل دول البلقان وحماية الشعوب المسلمة من هجمات النصارى، فهذا سبب في بقاء الشمال الإفريقي على إسلامه ودينه [1] .

معاناة السلطان بيازيد من العوائق التي تمنعه من إرسال المجاهدين، إضافة إلى مشكلة النزاع على العرش مع "الأمير جم"، وما أثار ذلك من مشاكل مع البابوية في روما، وبعض الدول الأوروبية، وهجوم البولنديين على مولدافيا والحروب في ترانسلافنيا والمجر والبندقية وتكوين التحالف الصليبي الجديد ضد الدولة العثمانية من البابا بوليس الثاني، وجمهورية البندقية والمجر وفرنسا، وما أسفر عنه هذا التحالف من توجيه القوة العثمانية لتلك المناطق[2].

اقتصار التوسع في هذه المرحلة على بلاد الشرق الإسلامي في آسيا وإفريقيا، كما اتسمت الدولة بطابعين عربي وإسلامي، فقد ضمت لأول مرة عدد من شعوب الأمة العربية فزادت نسبة الرعايا المسلمين، مما اكسبها زعامة العالم الإسلامي وتواكب هذه المرحلة عهد السلطان سليم الأول 1512 – 1520م، وفيها صارت الدولة العثمانية آسيوية بلقانية افريقية[3].

اتجاه سليمان الأول نحو أوروبا وفي ذلك الوقت أدرك أن الفتوحات في غرب أوروبا تتطلب الاستيلاء على جزيرة "رودس" التي تسيطر على البحر المتوسط وبلغراد، والتي تمثل بوابة نحو أوروبا الوسطى، وإدراك سليمان أن يحذوا حذو أسلافه في توسيع رقعة الدولة، لأنه كان ذو خبرة، وكان نائب والده في الحملة، مما دفعه بإرسال رسالة إلى ملوك أوروبا، يحذرهم بتوليه العرش فقابل ملك المجر "لويس الثاني" الوفد بازدراء وغضب، ووصل إلى قتل وفد سليمان وعلى اثر هذا، جاء رد الفعل من طرف "سليمان الأول" وجهز عدّة حملات لغزو المجر وحلفائها [4] .

---

[1] – عيسى الحسن، المرجع السابق، ص: 400.

[2] – نفسه ، ص : 478.

[3] – زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص: 35.

[4] – ميمونة حمزة المنصور، المرجع السابق، ص: 46.

في عام 1490م وصل خبر وفاة ملك المجر "ماتياس كورفان"، فجهز السلطان بيازيد الثاني جيشه متوجها نحو المجر عام 1490م، وهذا العام هو نفسه سقوط غرناطة، وفي طريقه راودته فكرة الانعطاف نحو ألبانيا، فدخلها واستولى على قلاعها التابعة للبنادقة وهناك، وفي تلك الأثناء وصله خبر باعتداء الشيعة على شرق الأناضول، فعاد إلى الآستانة وهذا ما دفعه إلى إنجاد أهل الأندلس [1].

بما أن الدولة العثمانية وصلت إلى الغرب الأوروبي رافعة الراية الإسلامية، فلماذا لم تنجد أو تحرر غرناطة من أيدي المسيحيين ؟.

فتذكر ميمونة حمزة المنصور أن الدولة العثمانية في الوصول إلى مناطق الغرب الأوروبي، فكان العثمانيون يعطون الحرية الكاملة للشعوب المسيحية دون عثمنة هذه الشعوب، فلم تنشر ثقافتهم أو لغتهم بين تلك الشعوب، فقد احتفظوا بلغاتهم فكان هدفها الحفاظ على حماية الأمن الداخلي وجمع الضرائب والفصل بين الخصومات [2] .

انصراف السلاطين في متابعة شؤون الدولة الداخلية عن قرب لانهماكهم في تحقيق ملذاتهم وانغماسهم في الترف والإسراف، كان أولهم السلطان سليم الثالث (1566م – 1574م)، وهنا راحت السلطة المركزية والحكم المطلق الذي كان يمارسه السلاطين، ننتقل تدريجيا من السلطان إلى الصدر الأعظم والوزراء، فبعض السلاطين كانوا لا يمارسون الحكم إلاّ بواسطة هؤلاء الوزراء الذين كان أكثرهم مثالا للفساد [3].

وعليه فإن أمل الأندلسيين بالعثمانيين لم ينقطع، لقناعتهم بأهمية وقوة هذه الدولة من جهة وثقلها السياسي والديني من جهة أخرى، ولولا موقف هذه الدولة المشرف اتجاه القضية الأندلسية، لما تواصلت رسائل الاستغاثة الكثيرة التي وصلت إلى مسامعها، والجهود التي بذلتها في خدمة القضية إلى دليل يعكس أهمية الأندلس في نظر العثمانيين، فكانت الجزائر الرقعة الجغرافية المساعدة على تحقيق أهداف العلاقات الأندلسية العثمانية.

[1] – زين العابدين شمس الدين نجم، المرجع السابق، ص: 130.
[2] – ميمونة حمزة المنصور، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص ص: 49 – 50.
[3] – زين العابدين شمس الدين نجم، المرجع السابق، ص: 271.

## المبحث الثاني: موقف ممالك مصر.

### أولا: الموقع الجغرافي لمصر ومكانتها:

تتصل حدود مصر من جهة الجنوب ببلاد النوبة، ومن جهة الشمال بالبحر الشامي ومن جهة الشام بحفص التيه، ومن جهة الشرق ببحر القلزم، ومن جهة الغرب بالواحات، وهي أرض سيخة غير خالصة التراب وبنيان دورها كلّها، وقصورها طبقات بعضها فوق البعض [1] .

ولمصر أهمية كبيرة من حيث موقعها الجغرافي وتوسطها بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه في الإقليم الثالث والرابع، وفق تقسيمات بعض الكتاب المسلمين، فضلا عن تمتعها بثروات اقتصادية وبشرية كبيرة، فوصفها الكثير من المؤرخين بعدّة صفات منها بلاد الغنّية المليئة بالخيرات لكثرة مواردها المتنوعة، كان لمصر مكانتها المميزة بين البلدان الإسلامية حتى عدّها البعض بأنها "غوث العباد"، كما وصفها القلقشندي بأنها "أرض الله المباركة"[2] كما يتصل بمصر في الجانب الغربي منها مدينة الفيوم [3] ، وبها أثار بنيان عظيم [4].

وقد لخص القلقشندي محاسن مصر وأسباب رحلة الناس إليها بقوله: "أما محاسنها فلاشك أن مصر مع ما اشتملت عليه من فضائل وحضت به من مآثر أعظم الأقاليم خطرا، واجلّها قدرا، وأفخمها مملكا، وأطيبها تربة، وأخفاها ماء وأحسنها ثمار، وأعدلها هواء، وألطفها سكنا لذلك ترى الناس يرحلون إليها وفدا..."[5] .

كما ذكرت مصر في القرآن الكريم في أكثر من أية لقوله تعالى: **{وَقَالَ اُدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَآءَ اللهُ آمِنِين}**[6] ، وقوله تعالى أيضا: **{وَنَادَى فِرْعَوْنَ فِي قَوْمِهِ، قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ}**[7].

---

[1] – الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، 1994م / 1414ه، ص ص: 322 – 323 .

[2] – شوكة العارف الأتروشي، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، ط1، دار الدحلة، عمان، 2007م، ص: 47.

[3] – الفيوم: وهي مدينة طيبة كثيرة الفواكه والغلات، وأكثر غلتها نجد الأرز، وهو الأكثر في سائر حبوبها وهوائها، ولها ذات بساتين وأشجار وفواكه، ولها جانبان على وادي اللاهون، وهو فيما يقال أن يوسف عليه السلام اتخذ له مجريان للماء في وقت الفيض ليدوم لهم الماء فيها، وقومها بالحجارة المنضدة، ينظر: الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص: 324.

[4] – الشريف الإدريسي، نفسه، ص: 324.

[5] – أحمد بن علي القلقشندي، الصبح الأعشى في صناعة الأنشا، تر: محمد حسين شمس الدين، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ص: 309.

[6] – سورة يوسف، الآية (99).

[7] – سورة الزخرف، الآية (51).

ويرى بعض العلماء أن مصر قد اقتبست من العراق القديم ظاهرة الفجوات المنتظمة في العمارة، وهي الظاهرة التي ظهرت في أول أمرها في مصطبة "نيت حتب" بنقادة ويبنون رأيهم هذا على أساس أنه يمكن تتبع أصل هذه الظاهرة المعمارية في العراق القديم بينما لا يمكن تتبعها في مصر [1] .

كما كانت مصر قاعدة للنضال في سبيل الإسلام، ذلك أن المماليك [2] اتخذوا دولتهم في الشرق الإسلامي، واعتبروا أنفسهم حماة الإسلام على الخصوص بسبب اتخاذهم مصر قلب العروبة والإسلام، فهم الذين قطعوا دابر الصليبيين من الشرق وأوقفوا خطرهم الذي يهدد البلاد الإسلامية [3].

وقد اعتمد سلاطين مصر وولاتها على الرقيق أيضا في تشكيل جيشهم، فأكثروا من السودان والأتراك والسقالبة [4] والروم [5] .

[1] – أحمد أمين سليم، سوزان عباس عبد اللطيف،مصر منذ عصر التأسيس حتى بداية عصر الدولة الحديثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007م، ص: 142.

[2] – المماليك: كانوا يمثلون الأرستقراطية في القاهرة، ويعيشون عيشة البذخ والترف، ويسكنون القصور الفخمة على بركة الأربكية، ويقتنون الجواري، فعدد المنشات والترميمات التي تنسب إليهم تقارب الأربعين من المنشات، تميزوا ببنائهم للمساجد والزوايا، ينظر: عمر عبد العزيز وآخرون، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006م، ص: 145.

[3] – صلاح أحمد هريدي، تاريخ مصر الحديث، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، 2009م، ص: 9.

[4] – السقالبة: هي في الأصل عبيد من بني الشعوب السلفية والذين باعوهم إلى عرب الأندلس، ولذا أطلق عليهم العرب اسم "السقالبة"، ثم توسع استخدام هذا الاسم ليشمل كل الموالي الذين يجلبون من مختلف البلدان الأوروبية، بما فيها شمال اسبانيا، ينظر: وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مراجعة، هاني الجمل،ط4، دار الأهلة، لبنان، 2011م، ص: 317.

[5] – شفيق مهدي، مماليك مصر والشام (نقودهم، نقوشهم، مسكوكاتهم،ألقابهم وسلاطينهم) 648 ه – 922ه / 1250م – 1517م، ط1، الدار العربية للموساعات، بيروت، 2008م، ص: 12.

**ثانيا: علاقة مصر المملوكية بغرناطة قبل سقوطها:**

كانت علاقة مصر بالأندلس وثيقة للغاية طوال العصر الإسلامي، وساعدت على توثيق هذه الروابط عوامل كثيرة على رأسها عامل التجارة، بحيث يمثل موقعها الجغرافي في قلب العالم الإسلامي، أتاح لها المجال أن تتبوأ مكانة سامية وأهمية سياسية واقتصادية وإستراتيجية، كما هيا لها الفرصة في أن تكون الوسيط التجاري بين الشرق الأقصى مصدر "التوابل والكارم" عصب التجارة العالمية في العصر والوسطى بين الغرب الإسلامي والأوروبي [1].

وتمتاز مصر بموانيها وأهمها الإسكندرية [2] على البحر الأبيض المتوسط أعظم الأثر في ارتباطها الوثيق تجاريا وعلميا واجتماعيا بالمغرب والأندلس، وبفضل نشاط حركة التجارة بين موانئ هذا البحر المختلفة، فقد كان يربطها بموانئ الأندلس وتونس والمغرب الأقصى خط ملاحي مباشر يحاذي الساحل الشمالي للقارة الإفريقية [3].

العامل الديني أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى تعميق الصلة بين مصر وبلاد المغرب الإسلامي، فقد كان حجاج المغرب والأندلس يعبرون الرحلة البحرية إلى الإسكندرية، ثم ينتقلون منها إلى القاهرة أو الفسطاط [4] ، ليركبوا السفن النيلية وتبحر بهم جنوبا حتى يصلوا إلى "قوص"، حيث كانت تنتظرهم القوافل البحرية لتعبر بهم واد العلاقي إلى ميناء عيذاب المطل على البحر الأحمر، ومن هناك يركب الحجاج متوجهين إلى مكة [5].

العامل العلمي والثقافي باعتباره هدف دائم لعلماء المسلمين في العصور الوسطى، وكان عالم الأندلس يتجشم أخطار السفر ومتاعبه، ليلتقي بشيوخ مصر في مراكزها العلمية المختلفة، مثل القاهرة أو الفسطاط أو الإسكندرية أو قوص (فقد تعددت تسميات مصر) وغيرها على نحو ما كان متبعا في كثير من المراكز العلمية بالمشرق الإسلامي، والخلافة العباسية، البصرة، كوفة، مكة...إلخ [6].

---

[1] – سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006م، ص: 313.

[2] – الإسكندرية: هي مدينة بناها لاسكندر وبها سميت، وهي مدينة على نهر بحر الملح، وبها آثار عجيبة ورسوم قائمة تشهد لبنيها بالملك والقدرة وتعرب عن تمكن وبصر، وهي حصينة الأسوار نامية الأشجار، كثيرة العمارة رائعة التجارة، شاهقة البناء رائعة...إلخ، ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مجلد 1، المصدر السابق، ص: 319.

[3] – السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، الإسكندرية، 1982م، ص: 257.

[4] – الفسطاط: وهي مصر سميت بذلك لان مصرام بن حام بن نوح عليه السلام بناها في الأول، وكانت مدينة مصر عين شمس، فلما نزل عمرو بن العاص والمسلمون معه في صدر الإسلام افتتحها، واختطي المسلمون حول فسطاطه، فعمروا مكان مصر، وسميت بالفسطاط لان عمرو بن العاص لما فتحها أراد المسير إلى الإسكندرية، أمر بالفسطاط أن يحط بها، ينظر: الشريف الإدريسي، مجلد1، المصدر السابق، ص: 322.

[5] – سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، المرجع السابق، ص ص: 314 – 315.

[6] – نفسه، ص: 316.

هجرة العديد من الأندلسيين إلى المشرق الإسلامي بعد سقوط مملكة طليطلة، وبعض مدن غرب الأندلس، كما ترتب على ذلك انبعاث حركة دينية واسعة النطاق في الأندلس [1].

تساقط مدن الأندلس وقواعدها الواحدة تلو الأخرى، مما أدى إلى انكماش الوجود الإسلامي باسبانيا وهجرة الكثير من الأندلسيين من بلادهم على البقاء فيها مدّجنين في ظل السيطرة المسيحية، ضف إلى ذلك هجرة شيوخ الأندلس ومفكريها على الخضوع لملوك قشتالة وليون وأرغون والبرتغاليين [2] ، فهاجر العدد الأعظم منهم إلى بلاد المغرب وقدّموا إلى مصر يحثون سلاطينها المماليك على إنقاذ ما تبقى من الأندلس [3] .

ومن بين أشهر العلماء الذين زاروا مصر نجد الشيخ أبو بكر محمد الطرطوشي دخلها سنة 516ه، فعاش بالإسكندرية وتوفي بها سنة 525 ه وغيرهم [4] .

وقد ظهرت أثارهذا التوافد الأندلسي المتزايد على مصر في الفنون المعمارية والزخرفية على مدى العصر الإسلامي، ففي جامع أحمد بن طولول على سبيل المثال، كانت له إصلاحات في مأذنته في عهد السلطان المملوكي حسن الدين لاجين (696 ه / 1296م) [5] .

---

[1] – سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مصر في العصرين الايوبي والمملوكي، ص: 316.

[2] – البرتغاليين: نسبة إلى البرتغال التي تقع جنوب غرب أوروبا في شبه الجزيرة الأيبيرية، واستوطنت داخل حدود البرتغال الحالية بشكل مستمر منذ عصور ما قبل التاريخ في عام 29ق.م، أجناس تتمثل في الغاليسيون واللوسيتاتيين عندما تم دمجها في الإمبراطورية الرومانية باسم مقاطعة لوسيتانيا، ويستمد معظمها من اللاتينية في ق5 ، وعند سقوط الإمبراطورية الرومانية خضعت الشعوب الجرمانية إلى القوط الغربيين وغيرهم، ينظر: زينب مصطفى دوشي، البحار العثماني عروج ودوره في غرب البحر الأبيض المتوسط 1474م / 1518م، المرجع السابق، ص: 299.

[3] – سحر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص: 317.

[4] – نفسه، ص: 318.

[5] – نفسه، ص: 322.

**ثالثا: موقف سلاطين مصر من سقوط غرناطة:**

نظرا للأوضاع المزرية التي عرفها المغرب السياسيا وإداريا، بسبب الصراع السياسي القائم بين دويلاته، فلم يبقى أمام المسلمين خيار سوى توجيه رسائل الاستغاثة إلى إخوانهم في مصر، بحيث حمّلها الغرناطيون مسؤولية الدفاع عنها فوجهوا إليها رسائل مطالبين فيها النجدة والغوث، واهم هذه الأمثلة التي وجهها الأندلسيون المصر، قصة السفارة الأندلسية التي بعث بها السلطان أبو عبد الله إلى سلطان مصر الظاهر جقمق في سنة 844 ه / 1440م، لكنها لم تسفر عن نتائج تذكر، إلاّ أنّ حوادث الأندلس المفجعة كانت قد تداعت في العالم الإسلامي، وأصبح صداها يتردد في بلاد القاهرة [1] .

وفي أواخر القرن الخامس عشر أرسل مسلمو غرناطة إلى الملك الأشرف قايتباي 1468م – 1492م[2]، يرجونه التدخل لإنقاذهم من ظلم ملوك النصارى، فاكتفى الأشرف بإرسال وفود البابا، والى ملوك أوروبا يذكرهم بأنّ النصارى في دولته يتمتعون بكافة الحريات، بينما إخوانه في الدين في مدن اسبانيا يتعرضون لشتى أنواع الاضطهاد، وهدد على لسان مبعوثيه بأنه سوف يتبع سياسة المعاملة بالمثل، وهي التنكيل بالنصارى إذ لم يكف ملوك اسبانيا عن اضطهاد المسلمين وطالب بعدم التعرض لهم وردّ ما اخذ من أراضيهم [3] .

ومن أهم السفارات الغرناطية إلى دولة سلاطين المماليك في مصر، هي تلك السفارة التي أرسلها السلطان الغرناطي الأيسر إلى ظاهر جقمق، وقد اختلف المؤرخون حول تحديد اسم سلطان غرناطة الذي أمر بإرسال الاستغاثة، وهنا اتفق كل من المقريزي والسخاوي، على أنه عبد الله بن محمد بن نصر، فيذكر المقريزي أن في عام 844 ه من يوم الاثنين، ورد كتاب الغالب بالله عبد الله محمد بن الأمير أبي الجيوش نصر من أمير المسلمين أبي حجاج بن أبي الوليد إسماعيل ابن نصر[4] . "متملك غرناطة من الأندلس،يتضمن ما فيه المسلمون بغرناطة من شدّة النصارى وأهل قرطبة واشبيلية ويسال النجدة [5] .

[5].

---

[1] – محمد زروق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب، المرجع السابق، ص: 63.

[2] – الأشرف قايتباي: هو السلطان الملك الأشرف أبو النصر، قانصوه من بيردي الغوري الأشرفي قايتباي، جركسي الأصل من مماليك الأشرف قايتباي، صار من جملة المماليك الجندارية رقّي في مناصبه حتى صار نائب طرطوس، توفي في 15 رجب 922ه / 1516م، اثر خروجه من مصر في جيش كبيرة لملاقاة سليم ابن عثمان في مكان بمَرجْ دَابِقْ، وانهزم هذا الأخير، ويقال انه توفي من شدّة القهر فكانت مدّة سلطنته 15 سنة و9 أشهر وخمسة وعشرون يوما، ينظر: شفيق مهدي، مماليك مصر والشام، المرجع السابق، ص – ص: 223 – 225.

[3] – أحمد محمد عطيات، الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، المرجع السابق، ص ص: 120 – 121.

[4] – سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، المرجع السابق، ص ص: 341 – 342.

[5] – العبيد المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، مجلد4، ط1، دار الكتب العلمية، 1997م، ص: 219.

أما السخاوي فقد أورد في ترجمته لعبد الله بن محمد بن نصر الغالب بالله "متملك غرناطة من الأندلس وحفيد الأمير أبي الجيوش، نصر بن أمير المسلمين أبي الحجاج بن أبي الوليد ابن نصر...يتضمن ما فيه المسلمون بغرناطة من الشدّة مع النصارى أهل قرطبة واشبيلية وتطلب النجدة" [1].

وكانت هذه السفارة الغرناطية تضم أربع سفراء غرناطيين قدّموا كتابا من سلطانهم إلى الظاهر جقمق[2]، يستنجد فيه بالسلطان المملوكي، وقد وعد هذا الأخير في ردّه بأنه سيبعث إلى ابن عثمان أي السلطان العثماني لنجدة الأندلس، واعتذر جقمق للسفراء الغرناطيين ببعد الأندلس عن مصر، مما يحول بينه وبين إرسال جنوده لمساندتهم، ولما طلب السفراء من السلطان أن يساعد غرناطة بمعونة مالية من مصر، وعدّهم هذا الأخير خيرا[3]. وبعد الرسائل المستمرة من طرف الغرناطيين إلى مماليك مصر، كانت بدون جدوى لم تلق أي مساعدة.

ويبدو أن السلطان قايتباي لم يتمكن من إغاثة غرناطة مسلمي الأندلس، وهذا لانشغاله بتحركات بيازيد، ورد غاراته المتكررة على الحدود الشمالية، إضافة إلى الاضطرابات الداخلية التي كانت تثور هنا وهناك، ومن ثم فإنّ الجهود المصرية وقفت عند الاكتفاء بالجهود الدبلوماسية، وتركت الأندلس تواجه قدرها بنفسها [4].

وكرر الأندلسيون استغاثتهم بالملك الأشرف قانصو الغوري 1501م – 1512م، سلطان مماليك مصر والشام، داعين إياه أن يتوسط لدى الملكين الكاثوليكيين لإحترام معاهدة الاستسلام، ووقف أعمال الاضطهاد ضدّهم، فأرسل الغوري وفدا إلى الملكين يبين لها انه سوف يجبر النصارى المقيمين في بلاده على الدخول في الإسلام، إذ لم تراعي الاتفاقيات السابقة بينهما وبين المسلمون [5] .

---

[1] – سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، المرجع السابق، ص: 342.

[2] – الظاهر جقمق: هو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي العلاي الجركسي الظاهري، سبي صغيرا من بلاد الجركس وجلب إلى القاهرة، وتربى في بيت الأمير "أينال اليوسفي"، وانتقل إلى الملك "الظاهر برقوق"، ومن هنا لقب بالظاهر، واجه هذا الأخير منذ بداية حكمه ثورتين: الأولى مع "الأمير قرقماش"، والثانية مع "أينال الجكمي" نائب دمشق، انتهى بنجاحه لم يدم حكمه طويلا، فأصيب بمرض شديد أدى إلى موته في 4 صفر 857 ه / 1452م، ينظر: شفيق مهدي، مماليك مصر والشام، المرجع السابق، ص ص: 195 – 196.

[3] – سحر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص: 342.

[4] – نفسه، ص ص: 343 – 344.

[5] – أحمد محمد عطيات، الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، المرجع السابق، ص: 121.

لكن الفقهاء المسلمين عارضوا معاملة رعايا النصارى بالمثل، لان الدين الإسلامي لم ينص على ذلك فأرسل هذا الأخير إلى الملكان سفيرا أقنعه بأن المسلمون يعانون معاملة حسنة، ولهم نفس الحقوق التي يتمتع بها الأسبان، وهكذا خابت آمال المسلمين في تلقي أي دعم أو مدد من سلطان المماليك قانصو الغوري، الذي يبدوا أنه كان مشغولا هو الآخر بحروبه مع العثمانيين، إضافة إلى كونه لا يملك أسطولا قويا يمكنه من مواجهة الأسبان أقعدته عن إغاثة الأندلسيون [1] .

العداء والتربص الذي أحاط علاقة مصر المملوكة بألفونسو الخامس والذي كان يسيطر على غرب البحر المتوسط هذا عن الاستغاثة الأولى، وقد أعقب ذلك عدّة نجدات من مصر لبلاد الأندلس، وذلك في عهد السلطان خشقدم في 868 ه / 1464م، واستجابت مصر بتقديم المدد والمعونة من الأسلحة والعتاد في مرحلة خطيرة من المواجهة، نظرا لظروف الحرب الأهلية والتي كانت تمر بها غرناطة بسبب التنافس على العرش [2] .

كان البعد الجغرافي بين مصر والأندلس عامة وغرناطة خاصة عائق في عدم نجدة إخوانهم، بالإضافة إلاّ أن المماليك لم يكن لهم أسطول قوي يستطيع مواجهة البحرية القشتالية لأنهم أصحاب خيل وقوتهم بريّة وليست بحرية، كما أن المماليك كانوا قد رسموا سياستهم الخارجية على أساس الاتجاه نحو الشرق، لدفع خطر المغول ثم التصدي بعد ذلك لمشاريع الدولة العثمانية التي كانت تهدف لتفويض دولة المماليك. فرغم وصول الاستغاثة إليهم إلاّ أنهم تشاغلوا عن نجدة إخوانهم في الأندلس[3] .

فلقد كانت علاقات ودّية بين مماليك مصر واسبانيا، ففي 2 جانفي 1477م، طلب فرناندو من البابا أن يؤذن له ببيع القمح للسلطان قايتباي في مصر، وضرب بذلك عصفورين بحجر واحد، فقد تمكن عن طريق ثمن هذا القمح من الاستمرار في حربه ضد مسلمي الأندلس، كما اعتقد أنه بذلك يقوي مركز المماليك ضد الأتراك العثمانيين الذين كان ظهورهم خطر على دول أوروبا [4] .

---

[1] – أحمد محمد عطيات، المرجع السابق، ص: 122.

[2] – نادية محمود مصطفى، العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية 642 ه – 932 ه/ 1258 م – 1517م، ط1، المعهد العالي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996م، ص: 118.

[3] – عبد القادر الميلق، تأثير ثورات الموريسكيين الأندلسيين على العلاقات الجزائرية الاسبانية، رسالة ماجستير، جامعة غرداية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2013م، ص: 28.

[4] – دومنيغيث برنادرفنست، تاريخ الموريسكيين مأساة أقلية، تر: عبد العال صالح، مراجعة : جمال عبد الرحمان، ط1، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2017م، ص: 18.

فقد راسل سلاطين المغرب سلطان قانصو الغوري 1501م – 1516م، يلتمسون منه العون ضد الخطر الاسباني، وحثه على طرد التجار الأوروبيين المقيمين في بلاده، وغلق كنيسة القيامة في وجه حجاجه، إلاّ أن هذه الرسالة باءت بالفشل، فقد أرسل فرناندو ال "ليدو مزكيردي انجرا" سفيرا إلى الغوري ونجح هذا في تحسين العلاقات بين مصر المملوكية واسبانيا [1] .

لقد اتجه الأندلسيون شرقا إلى دولة المماليك بمصر، والتي كانت على دراية بأوضاعهم، على أن أهل الأندلس لم يحاولوا الحصول على الدعم العسكري، بل كان همهم الوحيد هو توسط المماليك دبلوماسيا لدى الأسبان، والتهديد بمعاملة المسيحيين في بيت المقدس الخاضع لهم بنفس المعاملة التي يعامل بها الأسبان المسلمون في الأندلس [2] .

وفي سنة 1487م وصل مبعوثي أبو عبد الله الصغير ملك غرناطة إلى القاهرة لمقابلة سلطان مصر المملوكي الأشرف قايتباي، وقد حمل هؤلاء السفراء رسالة استغاثة بالسلطان يطلب منه تجهيز حملة كبرى لصد الخطر الصليبي المحدق بمملكة غرناطة، وبيان أنّها قد أشرفت على السقوط، وعلى اثر ذلك عقد الأشرف مشورة فيما بينه وبين كبار الأمراء، ووصل رأيهم بأن يرسل السلطان تهديداته لبابا روما [3] بأنه سوف يغلق كنيسة القيامة أو انه سيمنع الحجاج المسيحيين على ارض المقدس، لكن هذا لم يكن مغيثا حسب رأي المؤرخ ابن اياس، وسقطت غرناطة بعدها بحوالي خمسة سنوات، فقد أعرب حكام مماليك مصر عن العاطفة الدينية اتجاه ما يعانيه الأندلسيون من تنصير وتجهيل وظلم، واعتذروا عن تقديم المساعدة لبعد المسافة والمشقة إلاّ أنهم أعربوا عن مواساتهم وتشجيعهم وتعاونهم ومساعدتهم المعنوية [4] .

ومن الطبيعي أن تأزم العلاقات بين السلطة المملوكية والإمبراطورية العثمانية، بسبب متاخمة أراضيها، وسبب صراعها على النفوذ خاصة وان السلطة المملوكية كانت في مرحلة الانحطاط، بينما كانت الإمبراطورية العثمانية في طريقها إلى الأوج، وتطمع بزعامة العالم بشان الدول الإسلامية الكبرى، وقد وجدّت عدّة مناسبات للاحتكاك ثم الاصطدام بين المماليك والعثمانيين في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر [5] .

---

[1] – أحمد محمد الطوفي، المماليك والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1996م، ص: 33.

[2] – محمد زروق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 – 17، إفريقيا الشرق، دار البيضاء، 1991م، ص ص: 85 – 86.

[3] – روما: وهي مدينة رومية من أركان النصارى، وذلك أنها كرسي من كراسيهم، وأنطاكية كرسي وبالإسكندرية كرسي، وهي مدينة عظيمة الدور، يذكر أن محيطها سبعة أميال ولها سوران من الحجر، وعرض السور الداخل اثنا عشر ذراعا، وسمكه اثنان وسبعون ذراعا، وهي اكبر من أن توصف فلها بلاد كثيرة وقواعد مشهورة...إلخ، ينظر: الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مجلد2، مكتبة الثقافة الدينية، 1994م، ص ص: 751 – 752.

[4] – محمد زروق، المرجع السابق، ص: 80.

[5] – صلاح أحمد فريدي، تاريخ مصر الحديث، المرجع السابق، ص: 17.

# خاتمــة

نستنتج النقاط التالية منها:

- ❖ نشأت مملكة غرناطة في جوي من الفوضى والاضطرابات التي شهدتها الأندلس أثناء سقوط مدنها الواحدة بعد الأخرى مثل قرطبة اشبيلية والتي مزقت روح الأندلس وجعلتها طعم سهل بيد الأعداء.
- ❖ ولقد تعاقب على حكم مملكة غرناطة إحدى وعشرين سلطانا، تمتعوا بالقوة ومنهم من كان سببا في سقوطها، حيث لم يستطيعوا التحكم في زمام السلطة ومواجهة القوى الكاثوليكية، مما اضعف روح الجهاد والتفشي للشهوات.
- ❖ عوامل وأسباب سقوط غرناطة لها أثر بالغ في انهيارها وزوال نفوذها، فمنها أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة، تمثلت هذه الأخيرة في الأسباب السياسية التي كان لها أثر كبير في السقوط، كنزاع على السلطة الذي دار بين الزغل وبن أخيه أبو عبد الله الصغير، هذا ما أدى إلى انقسام المملكة، وتنافس زوجات الأمراء على حيازة العرش لأبنائهن من ذلك عائشة الحرة مع ثريا المسيحية ضرتها.
- ❖ كما كانت هناك أسباب اقتصادية المتمثلة في تجويع الغرناطيين وإجبارهم على الاستسلام وقتلهم، قاموا بحرق المروج وإفسادها، كما لا ننسى الجانب الاجتماعي كان له اثر بالغ في سقوط غرناطة الذي يعود إلى انغماس الحكام بالشهوات والركون في الترف واللهو، في الوقت الذي كانت فيه المملكة بحاجتهم فابتعدوا عن مسؤولياتهم وذهبت أخلاقهم وماتت فيهم روح الجهاد والقوة، وهكذا كانت الأوضاع الداخلية تساعد على سقوط غرناطة .
- ❖ تمثلت أسباب المباشرة في سقوط المملكة باتحاد المماليك النصارى (قشتالة وأراغون) وذلك بزواج الملكان الكاثوليكيان اللذان تعهدا بالقضاء على أ خر معقل للأندلس (غرناطة) التي ذاع صيتها في مختلف الأقطار العربية باعتبارها دويلة إسلامية .
- ❖ نتيجة للظروف الداخلية التي كانت تعاني منها الأندلس عامة وغرناطة خاصة في الصراع السياسي بين الأمراء حول السلطة، استغل كل من فرناند وإيزابيلا هذا الوضع وقاما بحصار نصراني عليها مما دفع الغرناطيين إلى القيام بثورات منها البشرات والبيازين .
- ❖ إبرام اتفاقية بين أبي عبد الله حاكمها وفرناند، الذي يفضي إلى توقيع معاهدة الاستسلام وفق بنود تخدم مصالح النصارى، إلا أنها نقضت فيما بعد من طرف المسيحيين وخرج أبو عبد الله الصغير

أخر ملوك غرناطة مع حاشيته، مودعا غرناطة إياها في مكان مسمى "زفرة العرب أو تنهيدات العرب"، وهنا قالت عائشة الحرة لولدها :

**اِبكِي كالنِسَاء مُلكًا مضَاعًا لَم تُدافِع عَلَيهِ كَالرِجَالِ**

- ❖ كما كان هناك عدة مواقف مغربية من سقوط غرناطة المتمثلة في الدولة الزيانية، فكانت علاقة يغمراسن الذي تأسست على يده هذه الدولة ذات علاقة وطيدة، فقد استقبلت عددا كبيرا من أبناء غرناطة، ويبدو أن العلاقة القائمة بينهما ضرب قوة بني مرين وهي القوة الوحيدة التي وقع عليها عبء الجهاد في الأندلس، بحيث أن الدولة الزيانية لم تساند إخوانها الغرناطيين في العدوة الأندلسية بكل مساعيها، بل تخاذلت عن ذلك وهذا راجع للخطر الخارجي التي كانت تعاني منه المتمثلة في الحفصيين، المرنيين .
- ❖ كان للمرنيين دور بارز في بلاد الأندلس بحيث قام أهل غرناطة إلى باستنجاد بالمرينيين لوقف الخطر الصليبي الداهم، إلى جانب الرسائل المتتالية التي تحث على مد يد العون وتضمنت معاناة الأندلسيين ،إلا أنها كانت تعاني من اضطرابات عسكرية وضعف وتدهور أدى إلى انقسامها منذ سقوط دولة الموحدين، ومنذ ذلك الحين لم يتمكنوا من تحقيق انتصارات ساحقة مثل التي حققها أسلافهم، لكنهم عملوا جاهدين على مساعدة أهل غرناطة ولكن بدون جدوى .
- ❖ وهنا يوجد أسباب أدت إلى تخاذل المرنيين في مساعدة غرناطة وتكمن في الظروف التي كانت تعيشها بني مرين واستعمار سواحلها من قبل الأسبان والبرتغال، هذا ما أدى إلى ضعف هذه الدولة فاشتغلت برد الخطر الخارجي .
- ❖ اعتبرت الدولة الحفصية من بين الدول التي كانت مقصد الغرناطيين في الاستغاثة والهجرة حيث شهدت هذه الأخيرة نفوذا في القرن الخامس عشر، تمثل في قضاءها على الدويلات المحلية وعدة تيارات أخرى .
- ❖ وعليه استنجدت غرناطة بالدولة الحفصية كغيرها من جيرانها للوقوف معها في وجه العدو وإرسالهم لها قصائد رثائية ورسائل يشكون لها معاناتهم وظروفهم القاسية من قبل النصارى إلا أنها كانت تعاني هيا الأخرى نقص عدد جنودها وحركات الاسترداد ومساهمتهم في ضعف السلطة المركزية ، كذلك تحكم النصارى في سفن الدولة الحفصية التي كان لها أسطول تجاري وحربي هائل، والتحكم في موانئها هذا ما أدى إلى عدم فعالية الدولة الحفصية في مساندة إخوانها في غرناطة .

- أما بالنسبة إلى الدولة العثمانية في المشرق كانت أيضا مقصد أهل غرناطة، لاسيما أنها كانت في أول قيامها وتطورها ،أي في أوج قوتها ، حيث كان فتح القسطنطينية 1453م، قريبا من سقوط غرناطة، إلا أنها كانت مشغولة بالفتوحات والتوسع على حساب الدول الأخرى وكانت تستقبل رسائل الاستغاثة .
- ومن بين المواقف الرائدة للدولة العثمانية أنها كانت تستقبل الفارين المسلمين وتحميهم ،وانشغلت بتحرير المناطق التي استعمرها الأسبان في شمال إفريقيا من بينها الجزائر وألحقت هذه الأخيرة بالإيالة العثمانية وكانت سببا في إبقاء الشمال الإفريقي على دينه الإسلام ، وهذا لا يفني جهودها وموقف سلاطينها اتجاه القضية الغرناطية من بينهم محمد الفاتح ، بيازيد وغيرهم ، لم تقف المماليك النصرانية مكتوفة الأيدي بل كانت تتصدى للتوسع العثماني .
- وقد وجهت كذلك رسائل الاستغاثة لمماليك مصر في المشرق ، واعتبرت قاعدة للنضال في سبل الله حسب رأي المؤرخين وكانت تتميز بكثرة جيشها من مختلف الأجناس ، وبكبر موانئها المطلة على البحر الأبيض المتوسط ، كانت العلاقة وطيدة بينها وبين غرناطة قبل السقوط الذي تدخلت فيه عدة عوامل دينية، ثقافية، اقتصادية ... إلخ، ومنه كانت مقصد العديد من الأندلسيين وهجرتهم إليها فتركوا بصمتهم فيها من أثار عمرانية و زخرفية وغيرها .
- ونظرا للأوضاع المزرية التي عرفها المغرب لجأ أهل غرناطة إلى الملك الأشرف وطلبوا منه التدخل لإنقاذهم، أرسل ملك وفد إلى ملوك أوروبا يهددهم ويطالبهم بعدم التعرض للمسلمين أو يلجأ إلى أسلوب أخر.

# الملاحق

**الملحق رقم (1): سلالة بني نصر وأهم سلاطينهم.**

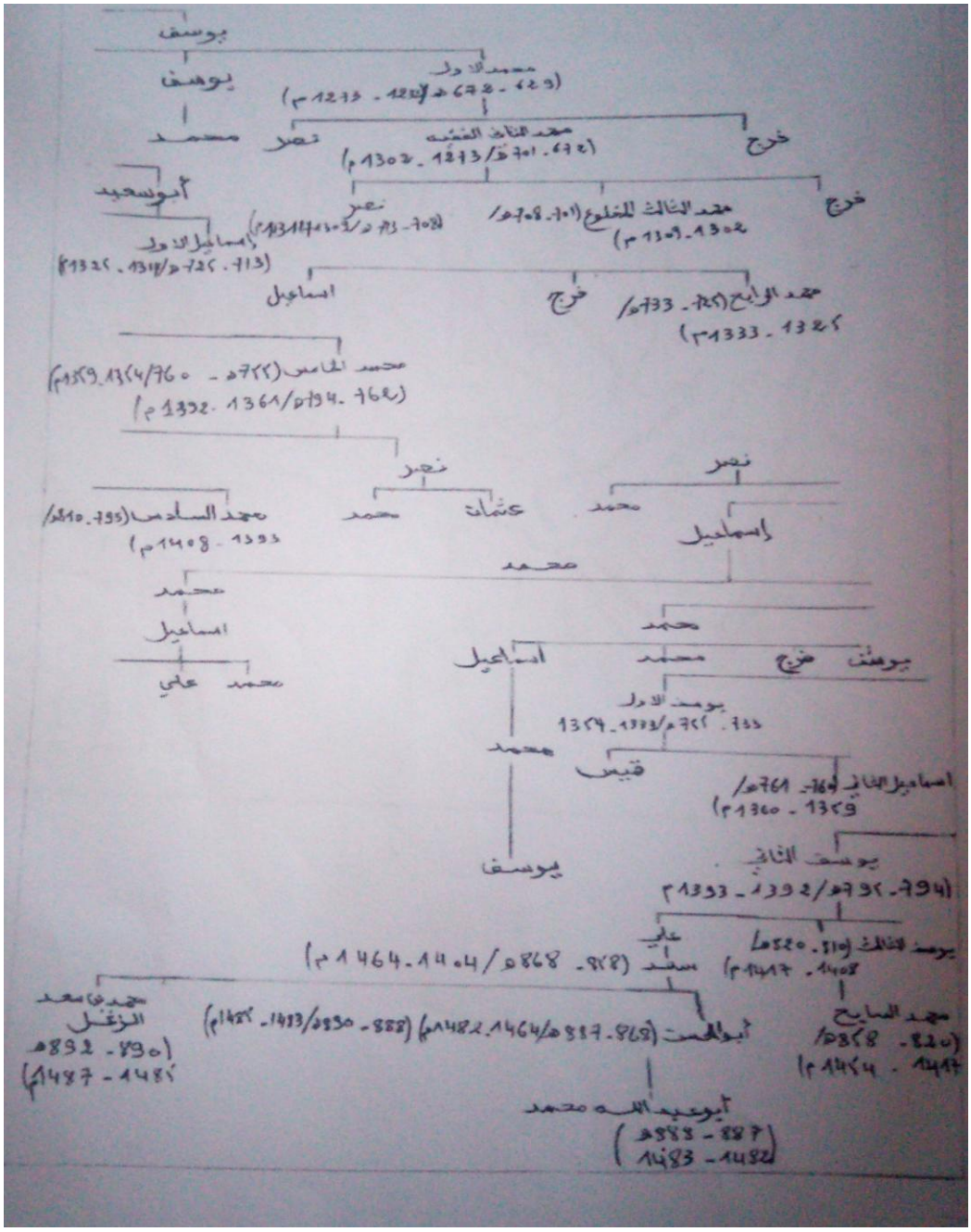

يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص: 56.

**الملحق رقم (2): صورة توضح منظر عام لمدينة الحمراء.**

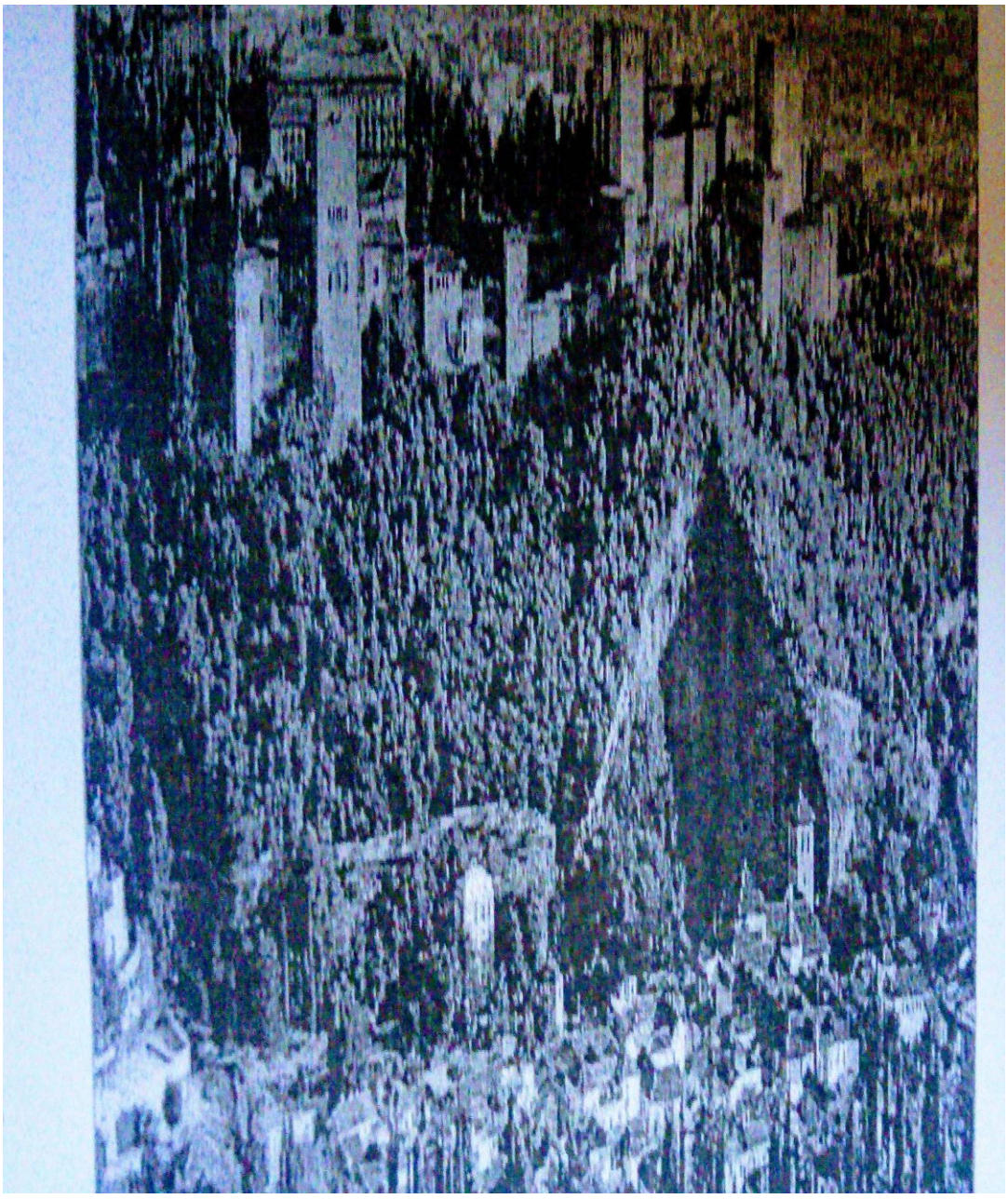

طارق السويدان، الأندلس في التاريخ المصور، ط1، الإيداع الفكري، الكويت، 2005م، ص: 474.

**الملحق رقم (3): صورة توضح منظر لساحة الأسود في الحمراء.**

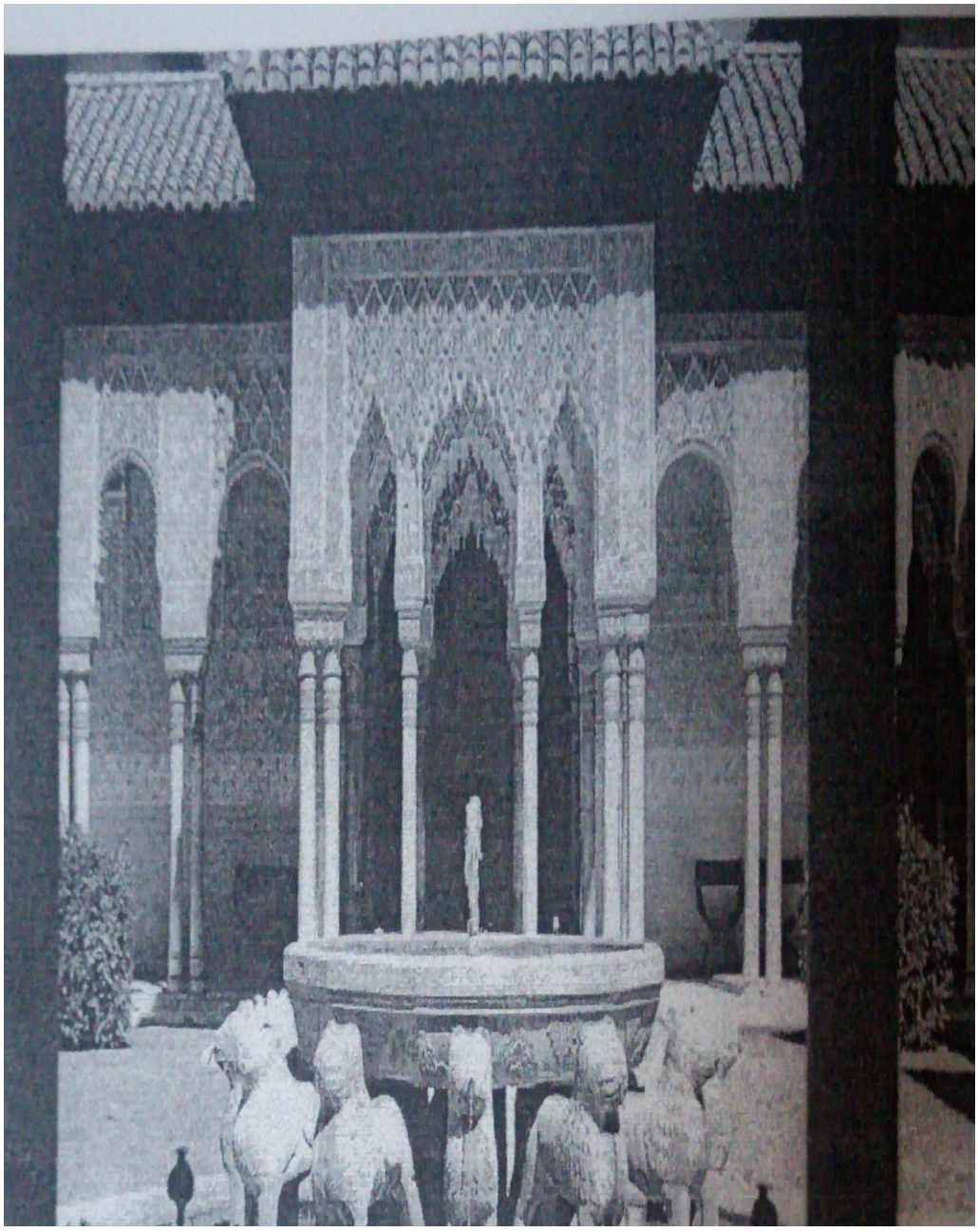

طارق السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص: 644.

**الملحق رقم (4): خريطة غرناطة الاسلامية.**

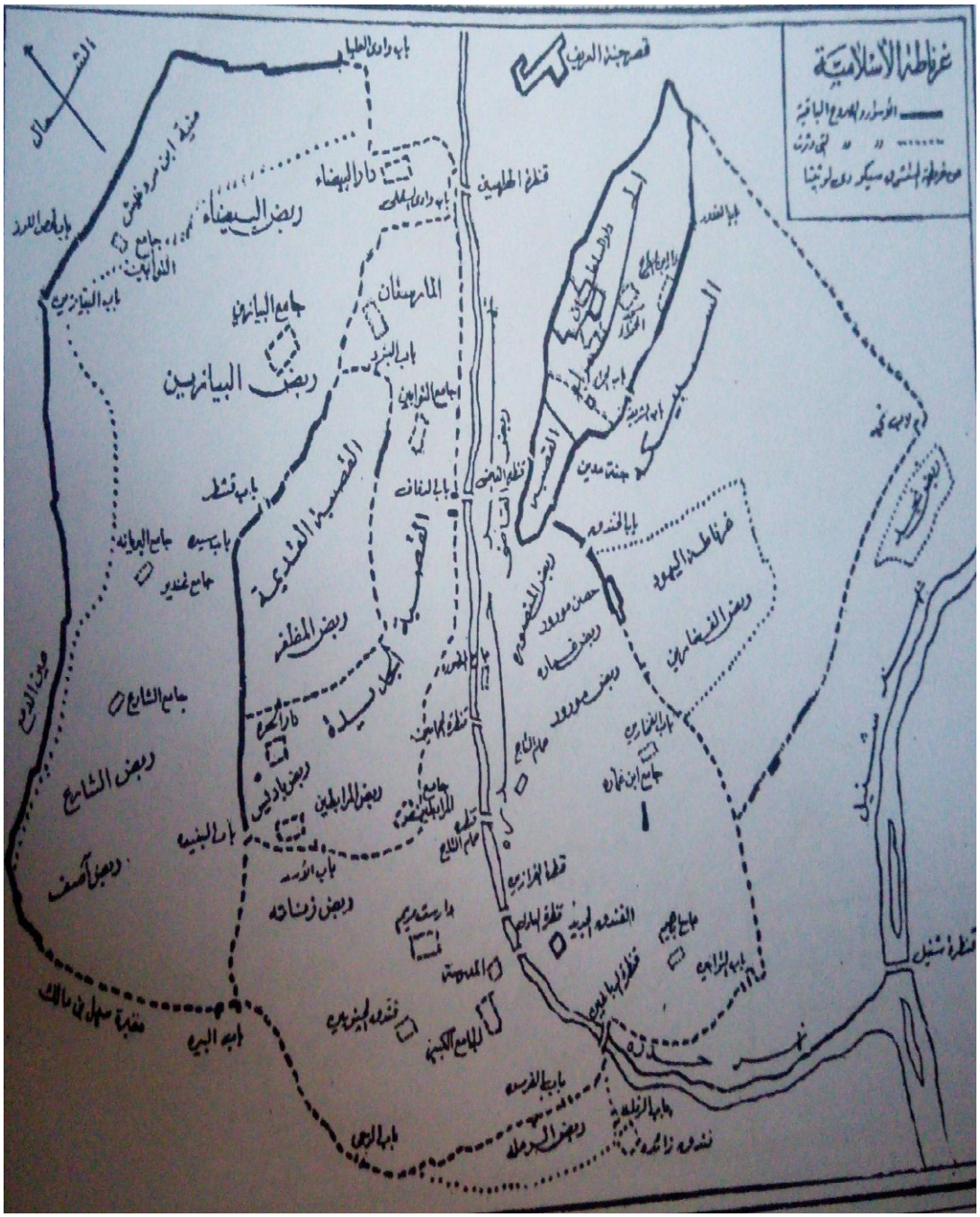


محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج3، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1990م، ص: 87.

**الملحق رقم (5): خريطة الأندلس بعد سقوط مملكة غرناطة.**

محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص: 89.

**الملحق رقم (6): خريطة تمثل علاقة الأندلسيين بالجزائر.**

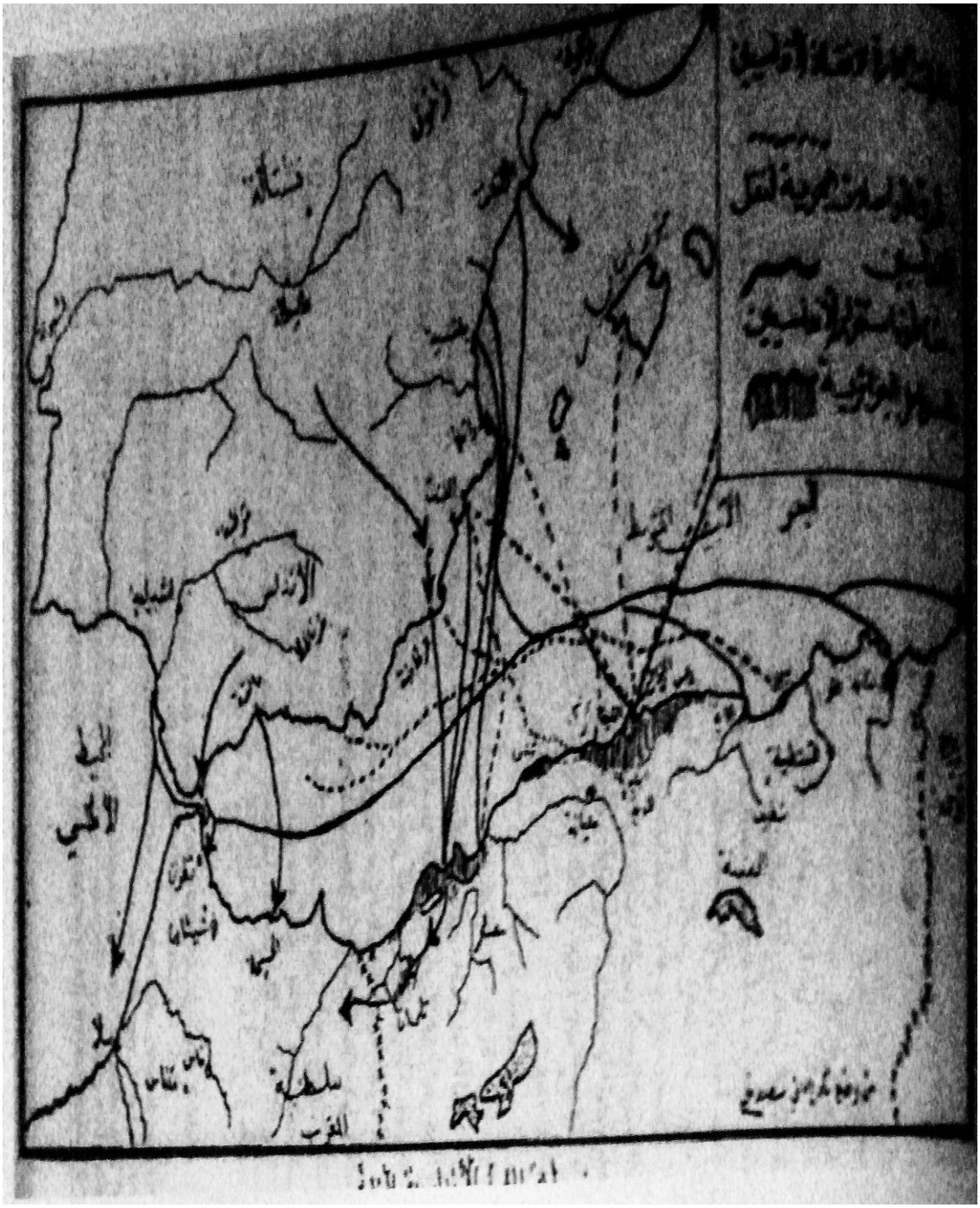

ناصر الدين سعيدون، التاريخ العربي السياسي في الأندلس، ص: 135.

**الملحق رقم (7): الهجرات الموريسكية الأندلسية إلى إيالة الجزائر بين 1492م – 1614م.**

حنفي هلايلي، التاريخ الأندلسي الموريسكي، ص: 187.

# قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص.
- الحديث النبوي الشريف.

## I. المصادر:


1. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مر:محمد يوسف الدقات، مج9، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.
2. ابن الأحمر إسماعيل، روضة النسرين في روضة بني مرين، القصر الملكي، الرباط، 1962م.
3. ابن خلدون عبد الرحمان، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، دار الفكر، بيروت، 2000م.
4. ابن خلقون الأندلسي، الإمام مالك بن انس، تح: محمد زينهم، ط1، مكتبة الثقافة الدينية.
5. ابن أبي زرع الفاسي علي بن عبد الله، الأندلس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للصباغة، 1972م.
6. ابن أبو زيد عبد الرحمان الجامعي، تاريخ تحرير وهران من الاحتلال الاسباني خلال القرن الثامن عشر ميلادي، تح: مختار حساني، ج1، مخبر المخطوطات، الجزائر، 2002م.
7. ابن عبد ربه الأندلسي أحمد بن محمد، العقد الفريد، تح: مفيد محمد قتيبة،ج1، ط- العلمية، دار الكتب العلمية.
8. الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تح: إسماعيل العربي، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، 1994م.
9. التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تح: محمود بوعباد، منشورات ANEP، الجزائر، 1985م.
10. الحموي ياقوت، معجم البلدان، مج5، دار صادر، بيروت،1984م.
11. الحميري أبو عبد الله محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984م.
12. الزركلي خير الدين، الأعلام، قاموسي الأعجم، مج1، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1890م.

13. علي الحجي عبد الرحمان، التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، بيروت،1981م.

14. القلقشندي أحمد بن علي بن احمد، الصبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، المؤسسة المصرية العامة.

15. مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية ،ط، دار أبي الرقراق،2005م.

16. مجهول، نبذة العصر في أخبار بني نصر، تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيون إلى المغرب، تع: الفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2002م.

17. المراكشي عبد الواحد علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

18. المقديسي محمود، نزهة النظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري، محمد محفوظ، ج2، ط1، دار المغرب الإسلامي، 1988م.

19. المقري التلمساني أحمد بن محمد، أزهار رياض في أخبار القاضي عياض، تح: مصطفى السوقا وآخرون، مطبعة الجنة، القاهرة.

20. المقري التلمساني أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس،مج1، دار صادر، بيروت، 1998م.

21. اليعطوري مقرين بن محمد، سيرة مشائخ نفوسه، تح: توفيق عباد الشقروني، مؤسسة توالت الثقافية، 2009 م.

## II. المراجع:


1. الزبيري علي محمد، ابن جزي ومنهجه في التفسير،ج1، ط1، دار القلم، دمشق، 1987م.
2. شاكر مصطفى، الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990م.
3. الأثروشي شوكة عارف، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، ط1، دار دجلة، عمان، 2007م.
4. الحميدي عبد اللطيف بن محمد، موقف الدولة العثمانية اتجاه مأساة المسلمين في الأندلس، ط1، الرياض، 1993م.
5. الزواري علي محفوظ محمد، ج2، ط1، دار المغرب الإسلامي،1988.
6. الشريف محمد موسى، استجابات إسلامية لصرخات أندلسية، الأندلس الجديدة.
7. الشطشاط علي حسن، نهاية الوجود العربي في الأندلس،دار قباء،القاهرة،2002م.
8. الصلابي علي محمد، دولة الموحدين، مكتبة حسين العصرية، بيروت.
9. الطوبى أحمد محمد، المماليك والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، 1996م.
10. المعامري محمد بشير، اشراقات حضارية أندلسية ،ط1، دار المكتبة الكبرى، عمان، 2015م.
11. النعيمي أحمد نوري، الدولة العثمانية واليهود، ط1، الدار العربية للموسوعات،2006م.
12. باغي إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، ط2، مكتبة الغبيكان، 1998م.
13. بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والأثار، ط1، دار المغرب الإسلامية، بيروت، 1991م.
14. حتاملة محمد عبد الله الأندلس التاريخ المحنة والحضارة، مطابع الدستور التجارية، الأردن،2000م.
15. حومد أحمد، محنة العرب في الأندلس، ط1،المؤسسة العربية للدراسة، بيروت، 1980م.
16. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004م.
17. زغروت فتحي، سقوط الأندلس ،ط1، دار الأندلس الجديدة، مصر،2011م،
18. سحرى محمد الطاهر، مختصر الدولة العثمانية،ج1، ط1، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر،2008م.
19. عبد العزيز محمد عادل،الجذور الأندلسية في الثقافة المغربية، دار غريب، 2009م.

20. قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس(دراسة تاريخية حضارية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي)،ج2، دار النهضة العربية، بيروت،1972م.
21. هلايلي حنفي، التاريخ الأندلسي الموريسكي، دار الهدى، الجزائر، 2010 م.
22. أبو زيدون وديع، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مر: هاني الجمل، ط4، دار الأهلة، لبنان،2011م.
23. أحمد علي، الأندلسيون في بلاد الشام من نهاية القرن 5حتى نهاية القرن 9ه، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2008 م.
24. أرسلان شكيب، خلاصة تاريخ الأندلس، المناصر، مصر،1925م،
25. البر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م.
26. الجمل شوق عطا، المغرب العربي الكبير في العصر الكبير(ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1988م.
27. الحسن عيسى، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط2، دار الأهلة، بيروت،2011.
28. الحميد عبد اللطيف بن محمد، موقف الدولة العثمانية اتجاه مأساة المسلمين في الأندلس، ط1، الرياض، 1993م.
29. الذنون عبد الحكيم، أفاق غرناطة، بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي، "ملحق موجز تاريخ الأندلس العربي"، ط1، دار المعرفة، دمشق.
30. السامرائي خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004م.
31. السايح حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب،ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء،1986م.
32. السلاوي الناصري أبو العباس أحمد، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ج4، الدار البيضاء، 1954م.
33. السويدان طارق، الأندلس التاريخ المصور، ط1، الإيداع الفكري، الكويت، 2005م.
34. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مصر وحضارتها في العصر الإسلامي، الإسكندرية، 1982م.

35. الطرشان نزار علي، مساجد حولت الى كنائس، دراسة تاريخية معمارية في الأندلس،ط1، مؤسسة الحمادة للدراسات الجامعية ،الأردن،2011م.

36. العامري محمد بشير، دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي،ط1، دار غيداء ، عمان، 2012م

37. العبادي أحمد مختار وآخرون، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ،ج1،مؤسسة شباب الجامعة،1993م.

38. العيدروس محمد حسن، العصر الأندلسي، خروج العرب من الأندلس ، التطهير.

39. الفيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج1، الموفم للنشر، الجزائر، 2011م.

40. القهوجي محمد رضا بشير، حاضر المعالم الإسلامية، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت، 2000م.

41. الكتاني علي المنتصر، انبعاث الإسلام في الأندلس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

42. المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

43. المظفر علي، غابر الأندلس وحاضرها، ط1، مصر، 1993م.

44. النجدي علي عبد الرحمان، هشام بن عبد الملك والدولة الأموية، ط8، موقع النشر، 1995م.

45. الوزان الفاسي الحسن بن محمد، وصف افريقية،ج2، ط1، الشركة المغربية للناشرين، الرباط،1982م.

46. برانشفيك روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، نقله: حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988م.

47. براهيمي نصر الدين، تلمسان الذاكرة، ط2، منشورات ثالة،الجزائر،2010م.

48. برنادوقست دومنيغيت، تاريخ الموريسكيين، مأساة الأقلية، تر: عبد العلي صالح، مر: عبد الرحمان، ط1، المجلس الاعلى للثقافة، 2017م.

49. بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله: نبي أمين فارس، منصر البعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1998م.

50. بشتاوي عادل سعيد ،الأندلسيون المواركة، القاهرة، دار الاهداءات،2001م.

51. بلعربي خالد، تلمسان من الفتح الإسلام إلى قيام الدولة الزيانية(55-633ه/

52. جيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام،ج3، ط4،دار الثقافة ، بيروت – لبنان.

53. حضرة المنصور ميمونة، تاريخ الدولة العثمانية، دار الحامد، عمان، 2007م.

54. حمادة محمد حامد، الوثائق السياسية والإدارية في وشمالي افريقية، ط1، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.

55. حمادي عبد الله، الأندلس بين الحلم والحقيقة(حوار مع شعراء الأندلس اليوم)، دارالمهدي، الجزائر، 2004م.

56. حومد أحمد سعد، محنة العرب في الأندلس، ط1، المؤسسة العربية للدراسة، بيروت، 1908م.

57. دراج محمد، الدخول العثماني للجزائر ودور الإخوة بربروس، ط2، دار الأصالة، الجزائر.

58. رزوق محمد، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب حلال القرنين 16-17،دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،1991م.

59. سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006م.

60. سعدون نصر الدين، التاريخ العربي السياسي في الأندلس، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1992م.

61. سليم أحمد أمين وآخرون، مصر منذ عصر التأسيس حتى بداية عصر الدولة الحديثة، دار المعرفة الجماعية، الإسكندرية، 2007م.

62. سوادي عبد محمد، طارق بن زياد، حياته، ظهوره، نسبه، خططه العسكرية، وقائعه في الأندلس والمغرب، ط1، سلسلة نوابغ الفكر العربي، 1988م.

63. شبارو عصام محمد ، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود 91 ه – 897م / 710 ه – 1492م)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2002م – 1423ه .

64. شمس الدين نجم زين العابدين، تاريخ الدولة العثمانية، دار المسيرة، 2010 م.

65. طويل مريم قاسم، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1994م.

66. عبد الحكيم منصو، تيمورلنك إمبراطور على صهوة جواد سفاك الدماء وهادم الحضارات، موقع للنشر، القاهرة.

67. عبد الرحمان الجامعي أبوزيد، تاريخ تحرير مدينة وهران من الاحتلال الاسباني خلال القرنين الثامن عشر ميلادي، تح: مختار حساني،ج1،مختصر المخطوطات، الجزائر،2002م.

68. عبد العزيز عمر، وآخرون، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006 م.

69. عطيات أحمد محمد، الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش، ط1، دار الأمواج، عمان، 2015م.

70. عمران محمود سعيد، تاريخ الحروب الصليبية 1095-1291م، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1990م.

71. عنان محمد عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس، ج3، ط2، مكتبة الخانجي، 1990م.

72. عوض عبد الفتاح، فصول من تاريخ الأندلس، دار عين للدراسات، 2009م.

73. عويس عبد الحليم ، التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس، ط1، دار الصحوة، القاهرة،1991م.

74. غوستاف لوبون، حضارة العرب، تر: عادل زعتير، ط3، دار العالم العربي، القاهرة، 2014م.

75. فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي،ط2، مكتبة دار الشرق، بيروت،1997م.

76. فرحات يوسف شكري ،غرناطة في ضل بني الأحمر، دراسة حضارية، ط1، دار الجبل، بيروت، 1993م.

77. قنان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500 -1830م)، المؤسسة الجزائرية، 1987م.

78. لوبون غوستاف، حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، ط3، دار العلم العربي، القاهرة، 2014م.

79. مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي الرقراق، 2005م.

80. محمود مصطفى نادية، العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية 642-932ه/1258-1517م، ط1، المعهد العالي للفكر الإسلامي.

81. مرسى الشيخ محمد، المماليك الجرمانية في أوروبا العصور الوسطى، دار الكتب الطباعية، 1975م.

82. مريدي صلاح أحمد، تاريخ مصر الحديث، مكتبة البستان المعرفة، الإسكندرية، 2009م.

83. مهدي شفيق، مماليك مصر والشام(نفوذهم،نقوشهم، مسكوكاتهم، ألقابهم، سلاطينهم) -648

84. مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1997م.

85. مينوكال ماريا روزا، الأندلس العربية إسلام الحضارة وثقافة التسامح، تر: علي عبد المجيد وآخرون،

86. يحياوي جمال، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيون، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان، 2001م.

## III. المجلات:

1. دوشي زينب مصطفى، البحار العثماني عروج ودوره الجهادي في غرب البحر الأبيض المتوسط 1474- 1518م، مجلة الكلية، ع11، جامعة مصراتة، قسم التاريخ، مركز التوثيق والمعلومات، 2018م.
2. عبيد العاني رياض أحمد، أحوال العامة في مملكة غرناطة 635 – 897ه / 1237 - 1492م، مجلة الجامعة للتركيب للعلوم الإنسانية، كلية التربية، ع9، أكتوبر 2010م.

## IV. الرسائل الجامعية:

1. الميلق عبد القادر، تأثير الأندلسيين على العلاقات الجزائرية الأسبانية، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة غرداية، 2013م.
2. بوشيخي أسماء، سقوط مملكة غرناطة (قراءة في معاهدة التسليم)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، سعيدة، جامعة الطاهر مولاي، 1017م.
3. بومدين مختارية، موقف الفقهاء من هجرة مسلمي الأندلس قبيل سقوط غرناطة 890ه / 1492م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، سعيدة، جامعة الطاهر مولاي، 2018م.
4. طه الحلبي رامز إسماعيل، عوامل سقوط الأندلس (72 – 711 ه / 897 – 1492م)، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، قسم التاريخ والآثار، 2015م.
5. طويلب عبد الله، الروابط الثقافية بين الدولة المرينية ودولة بني نصر في الأندلس (ق 7 – 10ه / 13 – 16م)، رسالة ماجستير، تلمسان، جامعة أبي بكر بلقايد، 2010م.
6. نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واستردادها، جامعة أم القرى، مصر، 1998م.

# فهرس الموضوعات

**العنوان** **صفحة**

**كلمة شكر وتقدير**

**إهداء**

**مقدمة**.....أ

**مدخل: غرناطة في عهد بني الأحمر 635 – 897 ه / 1238 – 1492م.**

**أولا –** الموقع وأصل التسمية .....6

**ثانيا –** تأسيس مملكة غرناطة في عهد بني الأحمر 635 ه – 1238م.....10

**ثالثا –** أوضاع غرناطة في عهد بني الأحمر.....15

**الفصل الأول: أسباب سقوط غرناطة.**

**المبحث الأول: أسباب غير مباشرة**.....22

**أولا –** أسباب سياسية.....23

**ثانيا –** أسباب اجتماعية.....29

**ثالثا –** أسباب اقتصادية.....32

**المبحث الثاني: أسباب مباشرة**.....36

**أولا –** اتحاد ممالك النصارى ( قشتالة وأراغون).....36

**ثانيا –** الحصار النصراني لغرناطة.....39

**ثالثا –** سقوط غرناطة ومعاهدة الاستسلام.....41

**رابعا –** اضطهاد النصارى لمسلمي غرناطة وبروز الثورات.....44

**الفصل الثاني: موقف دول المغرب الإسلامي من سقوط غرناطة.**

**المبحث الأول: موقف الزيانيين**.....51

**أولا –** أصل الزيانيين.....51

**ثانيا –** علاقة يغمراسن مع بني الأحمر في غرناطة.....55

**ثالثا –** أسباب تخاذل الزيانيين عن مساندة الغرناطيين.....59

**المبحث الثاني: موقف المرينيين**.....62

**أولا –** نسب المرينيين.....62
**ثانيا –** دور المرينيين في الأندلس.....62
**ثالثا –** أسباب تخاذل المرينيين عن نجدة أهل غرناطة.....65
**المبحث الثالث: موقف الحفصيين**.....67
**أولا –** أصل الحفصيين.....67
**ثانيا –** مساندة الحفصيين لمملكة غرناطة.....69
**ثالثا –** عدم فعالية الحضور الحفصي في إنقاذ غرناطة.....71
**الفصل الثالث: موقف دول المشرق الإسلامي من سقوط غرناطة.**
**المبحث الأول: موقف الدولة العثمانية**.....74
**أولا –** نشأة واصل الدولة العثمانية.....74
**ثانيا –** استنجاد الغرناطيين بالدولة العثمانية.....77
**ثالثا –** موقف سلاطين الدولة العثمانية.....78
**رابعا –** الموقف العثماني في الجزائر من القضية الغرناطية.....82
**خامسا –** تقييم للدور العثماني في اهتمامه بالقضية الغرناطية.....84
**المبحث الثاني: موقف ممالك مصر**.....86
**أولا –** الموقع الجغرافي لمصر ومكانتها.....86
**ثانيا –** علاقة مصر المملوكية بغرناطة قبل سقوطها.....88
**ثالثا –** موقف سلاطين مصر من سقوط غرناطة.....90
**خاتمة**.....95
**ملاحق**.....99
**قائمة المصادر والمراجع**.....106
**فهرس الموضوعات**.....117